

ثمانية أمثال

من الكتاب المقدس لحياة الزوجين

الرجاء في قلب الأزمات

فهرس

٣	مقدمة
٤	الفصل الأول
٤	مثل الزارع
١٠	الفصل الثاني
١٠	مثل البذرة الطيبة والزوان
١٦	الفصل الثالث
١٦	مثل الصبية الذين يحدون
٢٠	الفصل الرابع
٢٠	أمثلة ثلاث صغيرة
٢٧	الفصل الخامس
٢٧	مثل الخروف الضال ومثل الدرهم الضائع
٣٣	الفصل السادس
٣٣	مثل الإبن الضال - لوقا ١١/١٥-٣٢
٣٩	الفصل السابع
٣٩	مثل حبة الحنطة التي تموت لتعطي ثمارًا كثيرة
٤٤	الفصل الثامن
٤٤	مثل ملح الأرض ونور العالم

مقدمة

" تقولون لي أمثال ؟ لكننا نعرفها عن ظهر قلب منذ نعومة أظافرنا ! لن نقوم بدراستها ونحن في هذه السن ! مع ذلك، وبالتحديد لأنّ هذه النصوص معروفة لدرجة أنّها فقدت ديناميتها، اخترناها لتكون موضوع درسا لهذا العام. ثمانية أمثال فقط، لأنّ لدينا في الواقع ثمانية اجتماعات شهرية في سنة فرق السيدة. ثمانية أمثال تعرفونها جيداً لكنكم لم تنظروا إليها يوماً من هذا المنظار. ثمانية أمثال، تعمقنا فيها فأذهلنا، لتضيء حياتنا الزوجية اليومية. لا تقوم قراءة الإنجيل على اكتساب معرفة كتيبة وفكرية فحسب؛ إذ إنّها لا تأخذ معناها الحقيقي إلا إذا طبّقناها في صميم حياتنا الواقعية والحميمية.

لهذا السبب هدّفتنا في موضوع الدرس هذا إلى محور ثانٍ لا يقل أهمية : الصعوبات والأزمات في حياتنا. من حسن حظنا أننا أعضاء في فرق السيدة، ونعرف جيداً أنّ الحياة اليومية الحالية ليست سهلة بالنسبة للأزواج، في عالم يساهم كلّ شيء فيه في إبعاد، لا بل انفصال، رجل وامرأة متحابان وقد أسّسا أسرة. الصعوبات العادية على كلّ الأصعدة، مجابهة نتائج الأزمة الأخلاقية والإقتصادية الحاصلة في العالم، المَحَن مثل البطالة، الانتقال إلى منطقة أخرى، المرض، هموم الأولاد، ثقل جمل الأهل المسنين، عدم الأمانة، الأمور المادية، إلخ، كلّ هذه الأمور تؤدي إلى عيش أوقات من الإحباط أو من التجاذب، ومن الشجار الذي يخسر فيه كلّ واحد من الشريكين، بعضاً من حيويته ومن فرحه في الحياة. لا أحد يختار حالات الإضطراب هذه أو المَحَن التي يجب، مع ذلك، أن يجتازها معاً دون أن يضيّع الهدف. هناك العديد من أزواج عصرنا الحديث الذين لا يصمدون أمام تجارب الحياة ويفترقون، تاركين الأولاد في حالة من الإضطراب.

طوال سنة كاملة، سوف نكتشف بفرح واندھاش أن الرسالة التي نستنتجها من الأمثال، تقدّم لنا وسائل لنختار عيش كلّ هذه الإحتمالات الحياتية، بشكل أفضل في يومياتنا، ولنتمكّن من النظر إليها بطريقة مختلفة، وإيجاد "سبل للخروج" حتى في قلب الأزمات. ذات يوم قال لي شخص : " عيد الفصح هو خروج من النفق ! " كلّ حياة مسيحية مطبوعة في صميمها بالإختبار الفصحيّ. مات المسيح وقام من الموت لأجلنا. مات المسيح وأخذ على عاتقه كل ظلماتنا وجعلنا نعبر إلى النور. فالنعبر الموت مع المسيح، لـ"نخرج" صوب الحياة. لا داعي لإختبار التجارب المريعة – التي قد تحدث أحياناً – لمعرفة ما معنى حلول الظلام بين أشخاص متحابين، وما هو فرح اللقاء أخيراً بنور النهار الصاعد.

يحدث كلّ هذا في حميمية القلوب، في حياة زوجية رصينة. تدريجياً، نرى أنّ الله هنا، يقودنا بلطف، يساعدنا لنعبر نحو الحياة ويعلمنا الحبّ. الطريق المؤلم يحوِّله الله أحياناً إلى طريق نور. تعلّم الحبّ ! من المؤكّد أنّ الحبّ مصدره الله. ومن المؤكّد أيضاً أنّ الحبّ مطبوع في أعماق كلّ كائن بشريّ. بالرغم من هذا، فالحبّ نتعلّمه. تلزّمننا الشجاعة، المثابرة والفكاهة أيضاً.

في قلب الحبّ، هناك حقيقة رائعة، قوية، بشرية للغاية، أحياناً فرحة، دائماً إيجابية، ألا وهي الرجاء. يمكن أن نكون مرهقين أمام المعابر الصعبة، لكن يسكننا الرجاء بسرعة : هناك منفذٍ ما. أمثال الربّ : الصبية الذين يجرّدون، النعجة الضالة، ملح الأرض ... يعرف يسوع حق المعرفة كيف نعيش : ينظر إلينا بطريقة إيجابية. فنجد طريقاً مشمساً ! نصعد صوب الفصح نكتشف طيبة الأب الذي يريدنا سعداء.

برناديت شوفلون – الأب بول دومينيك ماركوفيتس

الفصل الأول

مثل الزارع - متى ١٣ / ٣ - ٩

١٨-٢٣ الحب كالنبتة التي نزرعها.

" هوذا الزارع قد خرج ليزرع. وبينما هو يزرع، وقع بعض الحَبِّ على جانب الطريق، فجاءت الطيور فأكلته. ووقع بعضه الآخر على أرضٍ حَجْرَةٍ لم يكن فيها تراب كثير، فنبتت من وقتِه لأنَّ ثرابه لم يكن عميقاً. فلما أشرقَت الشمسُ احترق، ولم يكن له أصلٌ فَيَس. ووقع بعضه الآخر على الشوك فارتفع الشوك فخنقه. ووقع بعضه الآخر على الأرض الطيبة فأنمَرَ، وبعضه مائة، وبعضه ستين، وبعضه ثلاثين. فمن كان له أذنان فليسمع ! "

" فاسمعوا أنتم مثلَ الزارع :

كلُّ مَنْ سَمِعَ كلمةَ الملكوت ولم يفهمها، يأتي الشرير ويخطف ما زُرِعَ في قلبِه : فهذا هو الذي زُرِعَ في جانب الطريق. وأمَّا الذي زُرِعَ في الأرضِ الحَجْرَةِ، فهو الذي يسمعُ الكلمة ويتقبلها لوقتِه فرحاً. ولكن لا أصلَ له في نفسه. فلا يثبتُ على حالة. فإذا حدثت شِدَّةٌ أو اضطهادٌ من أجلِ الكلمة عثر لوقتِه. وأمَّا الذي زُرِعَ في الشوك فهو الذي يسمعُ الكلمة، ويكون له من همِّ الحياةِ الدُّنيا وفنتَةِ الغنى ما يخنقُ الكلمة فلا تُخرجُ ثمرًا. وأمَّا الذي زُرِعَ في الأرضِ الطيبة، فهو الذي يسمعُ الكلمة ويفهمها فيثمرُ ويُعطي بعضه مائة، وبعضه ستين، وبعضه ثلاثين.

١- عرض المثل

يمكن لعنوان هذا المثل، الذي نجده في كلِّ مكان، أن يكون مُضليلاً، لأنَّ الزارع يَمحي تدريجيًا لصالح البذور (أول جزء من المثل، الآية ٣-٩) ثمَّ لصالح من يَصفهم (الجزء الثاني، الآية ١٨-٢٣). هذا ما يعطي انطباعًا عن انعدام المنطق. ومع أنَّ الأمر بغاية الوضوح ! لكن هذه التركيبة تُعطي غنىً وطوعية للمثل. يتكلم يسوع مثل فلاح في هذا الإنجيل للقديس متى. كلمتان تعتبران المفتاح لكلِّ المثل : الكلمة والقلب، " كلمة الملكوت ... مزروعة في قلب الإنسان " (الآية ١٩).

الكلمة، هي إعلان ملكوت الله، هي تبشير يسوع. إنها كلُّ ما يقوله يسوع عن حقيقة أبيه. 'إنها تعليم يسوع من أجل خلاصنا. الزارع ليس بخيلاً، نثر بذوره في كلِّ مكان، لأنَّ رغبته تقضي بأن لا ينسى أحدًا. الكلمة هي للجميع، الصالحين، والأقلَّ صلاحًا، الجميع ... يسوع يعظ.

القلب، إن مصير البذور مُقارن مع وقع الإعلان في القلوب، البعض يستقبلون الإعلان، والبعض الآخر يتحقَّظون. علينا استقبال الإعلان بقلب مُهيأً وطيب.

تجدد الإشارة إلى أنَّ "الشرير" حاضر فعلاً ومستعدّ " ليخطف ما زُرِع". تُظهر لنا الحياة هذا الأمر بوضوح.

٢- حياة الزوجين

قلب مُفعم بالرجاء

حين ينثر الزارع البذور في الأرض، يكون قلبه مفعمًا بالرجاء، بالمشاريع وبالثقة بهذا الزرع الذي سينبت، سينمو ويتفتح. هذه هي الإستعدادات التي يحملها كل زوجين في قلبيهما حين يتزوجان.

بالنسبة لرجل وامرأة يقومان بهذا المشروع، عملية الزرع تعني أن يعطي أحدهما للآخر وعدًا بأن يحبّه إلى الأبد، بأن يكونا زوج وزوجة، أن يعيشا الحياة معًا، أن يبنيا حبّهما لينمو ويثمر في أولادهما، ويشعّ حولهما. الزرع يعني أن يثقًا بالمستقبل، أن يثقًا بالكلمة التي تُوجّد مستقبل شخصين، التي تجمع زوجين أمام الله بسرّ الزواج، والتي تُقيم عهدًا أبدياً مع الربّ و تعطي ثقة تامّة بمعونته.

لكن ما هو مصدر هذا الحبّ القوي الذي يعيش في قلب كلّ واحد منهما؟ يمكننا أن نجد عوامل متنوّعة : الجمال، الذكاء، الديناميّة، الرصانة، العمق، التوافق والعديد من مواضيع الإنجذاب المتبادل. لكن لا يجب أن تحجب هذه الأمور، الأمر الجوهري : كلّ حبّ مصدره الله. نثر الربّ في قلب كلّ واحد من الزوجين بذور الحبّ بوفرة، إن كنا مُدركين للأمر أو لا. البذور التي ينثرها فينا بواسطة كلمته هي أولاً بذور حبّ. ماذا فعلنا بها؟ وماذا نفعل بها؟

كلّ واحد من الزوجين يزرع الكثير من البذور في قلب وروح الآخر. هل يعرف كلّ واحد منا أن يميّز ويعترف بما زرعه الآخر في قلبه ويجعله يُثمر؟

واقع الحياة اليوميّة

مع أنّ حياة الزوجين ليست بهذه السهولة. يأتي يوم، تبدو فيه البذور التي نُثرت في الأرض بحماس، أنها توقفت عن النمو أو حتى ذبّلت. يسوع نفسه يشرح في المثل، عن سبب موت البذور التي نُثرت في أرض ترابها قليل العمق : " ووقع بعضه على أرض حجرة لم يكن فيها تُرابٌ كثير، فنبت من وقته لأنّ ترابه لم يكن عميقاً. فلما أشرقت الشمس احترق، ولم يكن له أصلٌ فيبس".

هل يمكن للحبّ أن يذبل " حين تشرق الشمس" أو بصيغة أخرى، يموت مع مرور الوقت؟ كل زواج يمرّ في وقتٍ ما بمراحل صعبة، وحين تتأزّم الأمور، يمكنها أن تُغرق حتى أفضل زوجين. بالتأكيد، نستمر بالعيش معًا، لكن كلّ واحد يُدرك أنّ الأمور لا تسير بشكل جيّد. بالكاد يتحمّل الواحد الآخر، لانعد نعرف السعادة في حضور الآخر معنا، يصبح كلّ واحد منا حزين. نتساءل بالسرّ (أو علناً) إذا ما زلنا نحبّ الشخص الذي يعيش معنا تحت سقف واحد والذي يتقاسم فراشنا. ما الذي يحصل معنا؟ يمرّ الزوجان بمرحلة من الإضطراب تعود إلى ألف سبب محتمل، مُعلن أو غير مُعلن. نسمي هذا الأمر : أزمة. لن يكون أيّ زوجين بمنأى عن " عبور هذه الصحراء".

في أغلب الأحيان، لا ندرك الأمر على الفور. " لكن الحياة تُفرّق المتحابين بهدوء دون أي ضجيج" كما تقول الأغنية. أحياناً تتطوّر الأزمة بهدوء كليّ وبدهاء، لدرجة أنّه يلزمنا بعض الوقت لنتمكّن من إدراكها : " أنت الطيور وأكلت كلّ شيء". من لاحظ أنّ البذور تجفّت في الأرض حيث التراب ليس عميقاً؟ من دقّ ناقوس الخطر؟ من رأى الطيور تأكل البذور الجيّدة ؟ تمامًا كما في الحبّ، جرى كلّ هذا ببطء، دون ضجة، على مرّ الأيام، دون أن نتنبّه للخطر ... أو قلّمًا نتنبّهنا له ... كانت الإشارات المُنيرة بالكاد ملحوظة ؛ مشاجرات

مُتَكَرَّرَة، عبارات سبَّبت الألم للآخر، مُتَطَلِّبات، رفض للعلاقة الجنسيَّة وغيرها من العوامل التي يعرفها كلُّ واحد بعد فوات الأوان. وذات يوم، ندرك أنَّ حبَّ البدايات الفرح قد انطفأ، وأن متعة أن نكون معًا قد خففت أو جفَّت. بالتأكيد قطعنا بعض العواصف (لكي تنبت البذور، تحتاج إلى مطر وعواصف !) ورغم ذلك، بذور الحبِّ غالبًا ما تنبت .

إشارات مُنذِرة

تكون الإشارات المُنذِرة بالكاد ملحوظة : ليس هناك إلا المشاجرات التي تتكرَّر أكثر بقليل. من جهة أخرى ليست بالضرورة إشارة مُنذِرة بالغة الأهميَّة. بعض الأزواج، الذين يكون العنف الكلامي هو طريقة تعبيرهم العادية، لا يكونون بالضرورة في أزمة. أثناء الخصام وتحت تأثير الغضب، نتواصل كثيرًا في النهاية، حتى لو كانت الطريقة عدائية ومُقلقة للواحد كما للآخر. كم مرَّة بعد الشجار نقول لأنفسنا : " ما كان يجب ان أقول له (لها) هذا " ! مع أنَّ الآخر قد سمعه. المسامحة والوسادة تُحلان عادة هذه النزاعات السطحيَّة نسبيًا. أحيانًا يكون الصمت أخطر من الشجار.

تظهر الأزمة بين الزوجين، في أغلب الأحيان، عبر إشارات غير مُدرَكة، ومشروعة لدرجة أنَّ لا أحد يتنبه أن السماء الزرقاء في طريقها إلى الاحتجاب. الإشارة الأكثر تأكيدًا على وجود أزمة بين الزوجين، هي الرغبة في الإبتعاد الواحد عن الآخر : نجد دائمًا حجة، مثلًا، حتى لا ننام معًا (" لديَّ عمل هذا المساء، ألحق بك بعد قليل")، حجة حتى لا نأخذ بعض الوقت لتحدَّث معًا (" إسمع، في الوقت الحالي، الأولاد يتعبونني، يأخذون كلَّ وقتي وطاقتي، أحتاج لأتنفَّس بهدوء في زاويتي")، حجة تعود إلى أسباب سابقة ("كان لديَّ عمل في المكتب، لم أتمكَّن من العودة باكراً)، وسبب وجيه حتى لا نصلِّي معًا ولا نتحدث:" هذا المساء نحن مُتعبان، لقد تأخَّر الوقت". " واجب المجالسة، للأسف في هذا الشهر، لا وقت لدينا " إلخ.

بالتأكيد، إذا عبَّر الزوجان حين تزوجا عن إرادتهما بالإنتماء الواحد للآخر، لم يقصدا بهذا الأمر ذوبانًا كاملاً أو خضوعًا. يحقُّ إذاً لكلِّ واحد، وحتى يجب عليه أن يحتفظ لنفسه بمساحة من الحرية. مع ذلك، المهمُّ أن نعرف لماذا نبحث فجأة، ونضاعف هذه الرغبة بفسحة من الحرية. حين يبدأ أحد الزوجين يشعر بهذه الرغبة بالابتعاد عن الآخر، عليه أن يتذكَّر كلمة المسيح لتلاميذه ليلة موته : " إسهروا وصلُّوا لئلا تقعوا في التجربة " (متى ٤١/٣٦). لكن معظم الوقت لا يكون واعيًا ولا يشعر برغبة في الصلاة.

سوف نذكر بعض الأمثلة التقليديَّة :

- " لا أقبل أن تكون مختلفاً عني ". يتبع هذا شجار، ثمَّ رغبة بجعل الآخر على صورتي، وفرض سلوكيات معيَّنة عليه، وبالتالي السيطرة عليه، بطريقة أو بأخرى، ممَّا يؤدي إلى التمرد ذات يوم. مع الوقت، إنَّ التعب من الصراع والإحباط يبعدان الزوجين ويزيدان التباعد بوجهات النظر. يجب أن نتذكَّر أنَّه لا يمكننا أبداً أن نغيِّر شخصًا بالفعل.

- " وجدتُ صديق (ة) الطفولة. أو التقيت في العمل بشخصٍ أتفق معه بشكل جيِّد، أُقدِّره ويقدِّرنِي. لا نقوم بأيِّ عمل سيء؛ نحن فقط سعيدين بالعمل معًا ". أجل، لكن ... ما رأي الآخر الذي لا نلتقيه إلا مساءً، بعد أن نكون قد أمضينا النهار بطوله مع الذي نتفق معه جيِّدًا؟

- " نحن نغرق بالعمل لدرجة أنَّه لم يعد لدينا الوقت ليُعجَب أحدنا بالآخر ". هو : " لم تعد تلاحظ الجهود التي أبذلها من أجلها. لم تعد تهتمُّ بما أخبرها به، ولا بأيِّ شيء يتعلَّق بي".

هي: " لم يعد ينتبه لي حتى حين أعود من عند المُزَيّن، مع أنّي أرغب بأن يقول لي أنّي ما زلت جميلة وأبدو شابة ". أزمة الخمسين ليست كلمة تافهة. بالنسبة للمرأة بشكل خاص : إما أن تدع الأمور تسير على حالها أو العكس، تبذل جهدها لتبقى شابة ؛ هي بحاجة لتعرف أن الجهود التي تبذلها هي ملاحظة ومقدّرة.

ليست هذه إلا بعض الأمثال الأكثر تقليديّة، لكن يمكن لكلّ زوجين أن يجدا بسهولة أمثال شخصيّة أكثر. إذا كنّا نتمتّع بإرادة طيّبة، نبحث، ونبحث دون جدوى عن بقايا البذور المزروعة على مرّ السنين. " الذي زرع في الشوك، فهو الذي يسمع الكلمة، يستقبلها بفرح، يكون له من همّ الحياة الدنيا وفتنة الغنى ما يُخنق الكلمة فلا تُخرجُ ثمرًا ". إنّ همّ الدنيا وفتنة الغنى موجودان، لكن هناك أمورٌ كثيرة، تعوي وتفتن، في طريق الزوجين طوال الحياة.

الحوار

تكون رغبتنا في التحدث معدومة، في الوقت الضروري أكثر من أيّ وقت آخر لتحدث. مع ذلك، هذا هو الدواء الأول.

- لماذا خفتَ هذا الحبّ الذي كان يعيش فينا بكلّ فرح منذ عدة سنوات؟ ما هي الأشواك التي خنفته؟ من يعيش في أزمة، وما سببها؟ أنا؟ شريكِي؟ أيّ أحداث في حياة الواحد منّا أو الآخر ساهمت في ابتعادنا عن بعض أو انفصالنا؟ كما دُكِرَ في المثل، هل خطف الشرير (وكيف) ما زرع في قلب كلّ واحد منّا لحظة زواجنا؟

- هل لدى كلّ واحد منّا الرغبة العميقة بالخروج من الأزمة؟ أو هل يرغب أحدنا الإستسلام وتحطيم كلّ شيء؟ لماذا؟

أن نرغب الحبّ

الدواء الثاني يشير إليه يسوع بذاته في مثل الزارع : " أما الذي زرع في الأرض الطيّبة، فهو الذي يسمع الكلمة ويفهمها، فيثمر ويعطي بعضه مئة، وبعضه ستين، وبعضه ثلاثين".

حين نتزوّج، تكون لدينا رغبة عميقة بأن نُحبّ ونُحَبّ. الحبّ هو " الأرض الطيّبة". جميعنا نملك هذه الأرض الطيّبة في عمق قلبنا. يجب إحيائها من جديد، حتى تتمكّن البذور التي زرعتها فينا الربّ، وزرعتها فينا رغبتنا بالحبّ، وسرّ زواجنا، من أن تنمو من جديد. إنّ سرّ الزواج ليس ليوم واحد بل إلى الأبد، إنّ مصدر نعم، تعاون وتعزيّة، بقدر ما نستعيدّها طوال حياتنا. عهد رجل وامرأة مع الله ليس أمرًا لا قيمة له. مصدره مشروع الله ذاته للزوجين منذ خلق العالم.

سماع وفهم الكلمة

" الذي يسمع الكلمة " يثمر ثمرًا جيّدًا. أما زلنا نجيد سماع كلمة الله ؟ دعونا لا ننسى أنّها " الماء المحيي" القادرة دائمًا على إحياء الحبّ من جديد والبذور التي جفّت في عمق قلوبنا. ماء حيّ في متناولنا، كلّ يوم، إنّ قراءة النصوص اليوميّة المُقترحة من قِبَل الكنيسة، إنّ رسائل القديس بولس، أوفي قراءة الأناجيل.

" الذي يفهم الكلمة"، يعطي ثمارًا جيّدة. لا نفهم دائمًا كلّ شيء. نتعثّر أحيانًا. لكن الكلمة تفعل فعلها فينا، كالماء الحيّ في الجدول الذي ينساب دون توقف، وحيث الشجرة التي بقربه تغرس جذورها وتصبح رائحة.

" فيثمر ثمراً جيداً ويعطي بعضه مئة، وبعضه ستين، وبعضه ثلاثين". لا تهتم الكمية. ليس علينا أن نحكم على الأمر. يسوع نفسه لا يقيس الأمور بهذه الطريقة؛ كثير؟ قليل؟ مئة؟ ستين؟ ثلاثين؟ مهما كانت الحالة التي نعيشها، المهم أن نعطي ثمراً. إن سرّ الزواج يساعد الزوجين ليثمرًا. يمكننا طلب هذه النعمة من الربّ في الصلاة، نسأله أن نكون إذاءه مثل " زنايق الحقل" أو " طيور السماء" التي تعرف أنها ستحصل على كلّ ما تحتاج إليه لإعطاء ثمر جيّد، ما دامت جذورها راسخة في الربّ.

٣- حياة الزوجين في الله

الزواج سرّ. هذا لا يعني أنّه غير مفهوم بل لأنّه لا يكشف كلّ غناه إلّا تدريجيًا. لا يُعطى كلّ شيء على الفور. تفتح البدايات على رجاء عميق. يتطلّب الأمر مسيرة طويلة. يعيش الأزواج هذا الإختبار، أحيانًا يكون فرحًا وأحيانًا مؤلمًا.

الزواج سرّ لأنّ حبّ الله يتجسّد في الحبّ البشريّ. حبّ الرجل للمرأة، وحبّ المرأة للرجل يسكنهما تدريجيًا حبّ الله. الحبّ القائم بين الأب والإبن، وبين الإبن والأب يوحدهما الروح القدس، هذا الحبّ ذاته يتجسّد في حبّ الزوجين. نفهم إذًا معنى مثل الزرع. يزرع الله حبّه بسخاء في القلوب، دون تحقّظ... إذا كان للزوجين اللذين تزوجا مشاريع كبيرة للمستقبل، لله مشروعه أيضًا: وهو ان يُدخَلَ هذين الزوجين في حبّ يدوم إلى الأبد، ليكون علامة على حبّه لكلّ الأزواج، ولكلّ الناس.

قلوب شديدة الإختلاف

المثل في الإنجيل واضح. الكلمة مثل البذور، زُرعت في القلوب التي تشبه الأراضي الطيبة، والمُحجرة، والقليلة العمق... تُمتزج البذور بالأرض. هكذا حبّ الله نستقبله بطرق مختلفة. الشرير حاضر يترصدنا. ثمّ هناك قلة ثباتنا: نحن رجال ونساء " نعيش اللحظة" ... هناك أيضًا الهموم...

لكن لا يجب التوقف هنا. يذهب بنا المثل إلى أبعد من هذا. إذا كانت هناك أراضٍ قليلة الخصوبة، غير مثمرة، هناك أيضًا أراضٍ طيبة. يضع الله هنا ثقته المطلقة: لا يمكنه إلا أن يضع رجاءه في حبّ الزوجين، اللذين خُلقا على صورته كمثاله. يسهر عليهما، يقدّم لهما دائمًا مستقبلًا زاهيًا أبعد من كلّ محنة. إنّه يعرف فقرنا لكنّه يعرف أيضًا غنانا.

مُستندين على هذا الحبّ ومُتكلّين على نعمة سرّ الزواج، أزواج كثيرون يسرون قُدماً ويتخطون المِحَن.

لهذا أُعطيت لنا نصيحتين ناتجتين عن هذا المثل: يجب تبادل الكلام دائمًا " سماع كلمة " الآخر. في أغلب الأحيان يكون الصمت مؤذٍ. حتى لو كانت كلمتنا تجرح، يمكنها أن تكون فرصة للتقدّم نحو نور أقوى، ونحو ثقة متبادلة أكبر. يجتاز الحبّ كلّ شيء. " الإصغاء" ... يا له من أمر رائع! أن يكون المرء محبوبًا، ألا يعني أيضًا أن يشعر أن أحدًا يصغي إليه؟

الإصغاء إلى كلمة الله

النصيحة الثانية مرتبطة بالأولى: يجب " الإصغاء لكلمة الله". لا يتوقف الله عن زرع كلمته... قراءة الكتاب المقدّس، التأمل بكلمة الله، أخذ الوقت الكافي... فتح القلب للإصغاء إلى الله... والآخر! إذا كان حبّ

الله يتجسّد في الحبّ البشريّ، هناك رابط جوهريّ بين الكلمة بين الزوجين وكلمة الله : هناك تدفّق حياة ورجاء، وهناك أيضاً نبع سلام في هذا الإتحاد بين الله والزوجين.

هكذا يصبح الزوجان أرضاً طيّبة، ينمّيان أرضهما الطيّبة، لاستقبال فرح الله.

أسئلة لواجب المجالسة

- ما هي البذور الطيّبة التي زُرعت في الأرض والتي جعلت حبنا يكبر؟ وما هي البذور الفاسدة التي منعت نموّه على مرّ السنين؟
- مع مرور الزمن، ما هي الأحداث التي دفعتنا إلى تخطي أزمة بيننا أو الإبتعاد الواحد عن الآخر؟ كيف السبيل إلى التنبّه إلى إشارات الإبتعاد، وكيف يمكن معالجة الأمر؟
- ما المكان الذي تأخذه كلمة الله والتعمّق بها في حياتنا كزوجين وحياتنا الشخصية؟

أسئلة لإجتماع الفرقة

- دون التعرّض لحميميّة الزوجين، وانطلاقاً من خُبرائنا، هل ما زلنا نعيش اليوم الأمانة للمثال الذي كنا نطمح إليه في بداية حياتنا الزوجيّة؟ ما الذي ساعدنا على عيش الواقع في حياتنا اليوميّة؟ كيف نعيش ونواجه إشارات الإبتعاد؟
- على الصعيد الفردي، في الفرقة و في العائلة، كيف نتعاون (ما هي الوسائل) لنواجه واقع حياتنا والعلامات السابقة للأزمة؟
- كيف نحضّر أولادنا لتخطي أزمات حياتهم؟
- ماذا يعني لنا سرّ الزواج؟ ماذا يتضمّن؟ وكيف يشكّل قوّة لنا؟

الصلاة

مثل الزارع (متى ١٣ / ٣-٩)

فَكَلَّمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلًا: «هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ حَرَجَ لِيَزْرَعُ،
وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ.
وَسَقَطَ آخَرٌ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُحْجَرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ ثُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَتَبَتَ خَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمُقُ أَرْضٍ.
وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ اخْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ.
وَسَقَطَ آخَرٌ عَلَى الشُّوكِ، فَطَلَعَ الشُّوكُ وَخَنَقَهُ.
وَسَقَطَ آخَرٌ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرٌ سِتِّينَ وَآخَرٌ ثَلَاثِينَ.
مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ»

الفصل الثاني

مثل البذرة الطيبة والزوان متى ٢٤/١٣-٣٠

البذرة الطيبة والزوان يتلازمان في كل واحد منا

"وضرب لهم مثلاً آخر قال : " مَثَلُ ملكوتِ السمواتِ كَمَثَلِ رجلٍ زرعٍ زرعاً طيباً في حقلِهِ. وبينما الناسُ نائمون، جاءَ عَدُوُّهُ فزرعَ بعدهُ بينَ القمحِ زواناً وانصرفَ. فلَمَّا نَمَى النبتُ وأخرجَ سُنْبُلُهُ، ظهرَ معه الزوانُ. فجاءَ ربُّ البيتِ حَدَمَهُ وقالوا له : " يا ربِّ، أَلَمْ تزرعَ زرعاً طيباً في حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أينَ جاءَ الزوانُ؟" فقال لهم : " أأخذُ الأعداءِ فعلَ ذلكِ ". فقال له الخدم : " أَفَنُرِيدُ أن نذهبَ فنجمَعَهُ ؟ " فقال : " لا، مَخَافَةَ أن تَقْلَعُوا القمحَ وأنتم تجمعون الزوانَ. فدعوهما ينبتانِ معاً إلى يومِ الحِصادِ، أقولُ للحِصَّادين : اجمعوا الزوانَ أولاً واربطوه حُزْماً لِيُحْرَقَ. وأمَّا القمحُ فاجمعوه وآتوا به إلى أهرائي ".

١- عرض المثل

حالة من الإنتقام القروي ! كل شيء مُحتمَل. تفسير الكلمة كما وردت في اليونانية، يعني في الفرنسية zizanie أي زرع الفتنة والتفرقة في مجتمع ما. أدرك التلاميذ النجاح الكبير الذي حظي به تبشير يسوع، لكن ظهر فجأة مثيرو الفتنة، الفريسيون وغيرهم، الذين بأسئلتهم وشكوكهم ...، يريدون زرع الشك في نفوس الناس : شك حول صحة تعليم يسوع، الذي كان جديداً بالنسبة إليهم آنذاك، وخاصة شك حول شخص يسوع. كالأخدام في المثل، أراد التلاميذ إحلال النظام وطرد مسيبي الفتنة. هل نذكر يوحنا حين أراد أن يُنزل ناراً على السامريين الذين رفضوا استقبال يسوع؟

نستلخص عبرتين :

أولاً، على الأرض، يكبر ملكوت الله، بالتأكيد، لكن الزوان يبقى حتى يحين الحصاد، إلى الدينونة الأخيرة. إذًا، العبرة الأولى تقضي بأن نضع السماء دائماً نصب أعيننا. نحن في الطريق، نحو هدفٍ محدد : بيت الله. العبرة تعلمنا الصبر تجاه الآخرين وتجاه أنفسنا.

العبرة الثانية تقضي بأن نثق بالله. القمح المزروع فينا، (قوّة النعمة، المعمودية، الزواج ...)، في القمح قوّة كافية ليصمد وينمو بالرغم من حواجز الزوان، (الشرير، ضعفنا ...). يبقى الله هو السيد.

الصبر والثقة يتطلبان منا عملاً دؤوباً، وهما فضيلتان تطوران شخصيتنا ... وحبنا لله وللآخرين.

٢- حياة الزوجين

يوم الزفاف، يكون الحبّ كبذرة نزرعها في إناء ؛ سوف تكبر وتُزهر من أجل فرح الجميع، إذا قدّمنا لها العناية والإهتمام. لكن ستنمو معها أيضاً بعض الاعشاب الضارّة، التي يجدر بنا مراقبتها بانتباه، وقلعها قبل أن تخنق النبتة. الحبّ هو بالتأكيد كنزٌ رائعٌ، لكننا نعرف سرعة عطبه لأننا نحمله في " أنيةٍ من خزف".

في كلّ زوجين، في كلّ واحد منّا البذرة الطيبة والزوان

كما في الحقل الذي ذكره يسوع، لدى كلّ زوجين أيضاً، البذرة الطيبة والزوان ينمون معاً. هذه الصورة التي أعطاها يسوع، هي قويّة وبسيطة في آن، هي صورة الحياة نفسها. حين يقول لنا القديس بولس : الخير الذي أريده لا أفعله والشر الذي لا أريده إياه أفعل. ففي الواقع، تتحقق الفكرة ذاتها. الجيد والسيء يتلازمان دائماً فينا بدافع من أحداث الحياة. من يزرع الزوان في حقلنا ؟ كلّ شيء ولا شيء، الأمور اليومية، الخلافات، الصعوبات، عدم التواصل، الأنانية، التجارب غير المتوقّعة، وعوامل أخرى عديدة غادرة، لا تخطر حتى على بالنا : " وبينما الناس نائمون، جاء عدوّه ..."

كلّ حدث من أحداث حياتنا يمكن النظر إليه من وجهتين.

كلّ شخصيّة تحمل في طبيّاتها أحاسيس مشؤومة يمكن أن تقود إلى أزمات (الزوان). لكن أيضاً كلّ شخصيّة تحمل في ذاتها كمّيّة من البذور الطيبة، قدرة على الحبّ أو الصمود بطريقة لا نتوقعها من قبل : الصراحة، الصدق، الشجاعة، المسامحة، الرغبة في الخروج من المأزق، البحث عن الوسائل الكفيلة بعدم جعلنا نغرق.

ما هو في مقدورنا

في حياة الزوجين، الزوان، هو كلّ ما يعيق نمو الحبّ، ويمكن أن يظهر بأشكال مختلفة. يجدر التمييز بين:

- ما هو في مقدورنا

- وما ليس في مقدورنا.

تدخل، في ما هو في مقدورنا، المواضيع الخلافية التي تصادفها كلّ الأسر : الصدمات الصغيرة في الحياة اليومية. تصادم الطبع والشخصيات، الأنانية، التناقضات، العادات الحياتيّة، الخلافات، إلخ. كلّ هذه الأمور البسيطة تنتهي بالإزعاج، وإثارة الأعصاب، وتقديم فرص للشجار والجروح التي نحتفظ بها في داخلنا. مع مرور الوقت يمكن أن تُشعل أزمات حقيقيّة بين الزوجين : " أنا عليّ دائماً ترك المائدة"، " أنا عليّ دائماً أن أملاً خزان السيارة بالوقود"، " أنا دائماً أتواجه مع الأولاد"، " بعد يوم عمل، وفوراً بعد انتهاء العشاء، هي أو هو يجلس أمام الحاسوب طوال السهرة، وما عليّ إلا الذهاب إلى النوم"، إلخ. يمكن لكلّ واحد منّا أن يجد في حياته اليومية، حتى في حياته الجنسيّة الحميمة، عدد لا بأس به من " بذور الزوان" تشعره بالألم. لكن، إذا كانت لدينا الشجاعة للتحدث بالأمر مع الآخر، ومشاركته الرغبة ذاتها ببناء وحدتنا معاً، يمكننا اقتلاع هذا النوع من الزوان بالصدق والصراحة والإرادة الطيبة.

ما الطريقة لمعالجة الأمر؟

إلى الذين يعرفون فرق السيدة، واجب مجالسة حقيقي ومنتظم، يمكن أن يساعد على كشف إشارات أزمة، لكن هذا الأمر يتطلب الحب، الفطنة، التمييز، الرقة ... ونشاطات يمكن أن تكون ترفيحية، يقوم بها الزوجان، تلبي رغباتهما معاً.

تبقى الصلاة الزوجية الرباط الذي لا يُخَيَّب. نطلب من الروح القدس أن يقودنا ويملأنا من حكمته ومن حبه، من المسامحة ومن الشجاعة، وهذا الطلب لا يمكن أن يكون دون فائدة: "أعطنا ربي، القوة لنرى بوضوح، أنت الذي هو نور العالم".

"أنا هو الطريق والحق والحياة". هذا تأكيداً من يسوع لتلاميذه، لكن الإنجيل ليس حكمة من الأمس؛ إنه كلمة حياة لليوم الحاضر. لا طريق إلا التي رسمها الرب للصمود، حين تبدأ بوادر العاصفة.

"قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدياً في أحشائي". ما يعطي القوة لعدم النظر إلى الوراء، بل إلى الرغبة في التقدم إلى الأمام.

كلّ واحد يعرف أنه في القرن الواحد والعشرين، أكثر من أي وقت مضى، أصبح الثنائي عطوباً. والكلّ يعلم أن ما يمكن إضعاف قوة الحب، مهما كان بسيطاً، يمكن أن يصبح مع مرور الوقت سماً قاتلاً، مع كلّ ما ينتج عنه من ويلات.

التجارب: حبة زؤان أخرى

الأحداث غير المتوقعة هي أخطر بكثير، يمكن أن تحدث في الحياة وتخلق البذور الطيبة بشكل تام. إنها "التجارب". على مدى الحياة، قد تحصل في أي وقت. يمكنها أن تكون جسيمة أو حاسمة، وقد تُسبب خلافات جدية بين الزوجين لأن حملها ثقيل بالنسبة لحبّ عطوب. يمكن أن نذكر البعض منها: الإكتئاب، الإنهيار، فقدان الثقة بالنفس، القلق، الحزن، صعوبة بناء شخصيتنا، والأكثر خطورة: فترات يكون فيها المرء عاطلاً عن العمل، المرض، مرض أحد الأولاد، الحداد، ثقل مسؤولية الأهل المسنين، الحياة المهنية المتعبة والبعيدة عن المسكن العائلي، إلخ. اللائحة طويلة جداً.

كلّ هذه الأحداث هي بمثابة "قصيف الرعود" في الحياة ويمكن أن تقود الزوجين إلى أزمت عميقة تؤدي إلى قتل الحب إذا لم نتنبه لها. في البداية، نقاوم لأننا اثنين ويسند أحدها الآخر، لكن مع استمرار الأزمة، لن يكون نادراً أن يبتعد الواحد عن الآخر، محاولاً، على قدر استطاعته، أن يحمل وجعه لوحده، أو أن يترك كلّ شيء ليعيش نمطاً آخرًا من الحياة. من ممّا لا يعرف أسرة تمزقت أو تفرقت على أثر مرض أو موت أحد أولادها، في حين أسرة أخرى عاشت ظروف مماثلة، فتقرّب الواحد من الآخر أكثر، وعاشت ألمها باتحاد الزوجين؟ إزاء ألم مماثل، تكون ردات الفعل غير متوقعة ولا يمكنها تحمّل أية إدانة خارجية. يكون الألم في أغلب الأحيان موجّهاً بحسب ماضي كلّ من الطرفين: تربيته، ما عاشه مع أهله في طفولته، جروحاته السابقة، طريقته الإيجابية أو السلبية في الحكم على الأمور الحياتية الصغيرة، والعديد من العوامل التي يمكن أن يكتشفها رجل وامرأة، في سياق محادثتهما العميقة التي اعتادا أن يتشاركا بها. لكن من ممّا يمكنه أن يعرف بالتأكيد، كيف يتصرّف في مواجهة تجربة جسيمة، خاصة إذا كانت تطول دون أي أمل؟

في مواجهة التجربة : الصبر

أجل، تتعاشيش البذرة الطيبة مع الزؤان في الحياة اليومية لكل واحد منا ؛ حتى بين زوجين متحابين، تنمو البذرة الطيبة مع الزؤان في قلب حبهما. ليس من السهل التعرف على هذا الأمر. ما العمل؟ يقترح يسوع حلاً مادته الصبر، النية الطيبة والرجاء، للذين يريدون اقتلاع الزؤان : " قال له الخدم : " أتريد ان نذهب فنجمعه؟ فقال : لا، مخافة أن تقلعوا القمح وأنتم تجمعون الزؤان. فدعوهما ينبتان معاً إلى يوم الحصاد، حتى إذا أتى وقت الحصاد، أقول للحصادين : إجمعوا الزؤان أولاً واربطوه حزمًا ليحرق. وأما القمح فاجمعوه وآتوا به إلى اهراي". في كل الظروف، وبقدر المستطاع، حافظوا على القمح، حافظوا على البذور الطيبة. الحفاظ على الثنائي الذي تشكلوه، يبقى الحل الأكثر حكمة حتى لو كان يتطلب هذا الأمر بذل جهود صعبة.

في مواجهة التجربة : الثقة

" آتوا به إلى اهراي". أبقوا الحب بين يدي الله، ضعوا ثقتكم في مساعدته، وفي إمكانياته على تجديد كل كائن بشري يتوجّه إليه بروح طفل مستعد لاستقبال كل شيء من أبيه السماوي. يستجيب الرب لهذه الصلوات وهذه الإنتظارات، ويعطي كل يوم القوة والنعمة لنعيش اليوم الحاضر. يعطي " المن "، طعاماً فقيراً، سمح للبرانيين بالصمود كل يوم لدى عبورهم الصحراء. " يوم واحد"، " كل يوم تكفيه مشقته"، هذه حلول حكيمة اقترحها يسوع نفسه.

في بعض الأزمات بين الزوجين، يمكن أن يكون هناك مسامحات يصعب تحقيقها ؛ الصلاة من أجل الشريك الذي يسبب لنا الكثير من الآلام، القيام بكل جهدنا لمساعدته على الخروج من الأزمة، عدم الحكم عليه، الصلاة من أجله (أجلها)، كل هذه الأمور هي وسائل بشرية (أحياناً تفوق القدرة البشرية) من أجل عدم اقتلاع البذرة الطيبة الباقية نهائياً، مع بذرة الزؤان التي غطت الحقل. بالتأكيد هناك إساءات لا يمكن نسيانها أبداً لأنها دمّرت شيئاً في أعماقنا. لكن النسيان والمسامحة أمرين مختلفين : المسامحة تعني إعادة الإعتبار والكرامة للآخر، وإيمانه بإمكانياته بتصحيح الخطأ، برفع رأسه والقول له : ننطلق معاً في الحياة. كما يقول القديس بولس : "... المحبة تعذر كل شيء، وترجو كل شيء، وتتحمّل كل شيء".

٣- حياة الزوجين في الله

بالتأكيد، إنّه يعمل ليلاً ! لا يتجرأ على العمل في وضح النهار ! هذه هي عادة "العدو". زوجان متحابان، يثيران غيرة " أبناء الشرير"، إبليس، يقول يسوع. بالطبع لا يوجد شيطان مُخبأ خلف كل مشاع. لكن الشرير يتسرّب من خلالنا، وحولنا ... من يُخَلِّصنا ؟ الزؤان هو هذا الداء الذي يزرع البلبلة و الشك، ويثير العديد من الأسئلة الواحد عن الآخر، خاصة أسئلة خاطئة وبالتالي دون جدوى. إذا حصل هذا الأمر بين الزوجين، يا لها من مأساة ! نبنى جبلاً من لا شيء، حماقة تقوّهنا بها دون انتباه، تصبح فرصة لشحن حرب رهيبية ... الفكاهة درع، علينا الإحتفاظ به دائماً بقربنا. لكن الزؤان ينبت أحياناً في حياة زوجين ويمكن أن يكون له قوة مخيفة. ما العمل ؟ هناك جوابين مستوحيين من المثل.

الصبر

الصبر. أراد الخدّام في المثل اقتلاع الزؤان. هذه فكرة ممتازة. عندما رأى التلاميذ أن يسوع لم يُسْتَقْبَل بشكل لائق في إحدى القرى السامرية، راودتهم الفكرة ذاتها، فعرضوها على يسوع : " يا رب، أتريد أن نأمر

النار فتنزل من السماء وتأكلهم ؟ " (لوقا ٩ / ٥٤). حلّ جذريّ. من لم تراوده هذه الفكرة ؟ إنها فكرة سديدة لأنها تدلّ على الرغبة في الطهارة والحبّ المطلق الذي نحمله في قلوبنا. من منّا لا ينتظر من شريكه أن يتغيّر كلياً ؟ هذه دلالة على الحبّ. المشكلة الوحيدة هي أنّ الحياة لم تكن يوماً هكذا. لننظر إلى حياتنا : فيها الزوّان وفيها البذور الطيبة : بعد حياة طويلة يموت الزوجان مع الزوّان والبذور الطيبة. قالت مارت روبين (Marthe Robin) لشخص كان يتدّمّر من طباعه السيئة : " لا تقلق ! سيموت طبعك السيء بعد ممالك بربع ساعة ! " جواب مليء بالفكاهة ! يجب أن تكونوا صبورين مع أنفسكم ومع الآخرين كما فعل مالك الحقل. الصبر، هو أن ننظر إلى أنفسنا، وينظر أحدنا إلى الآخر، بفكاهة، برقة وحنوّ لكن أيضاً بدون تنازلات : الصراع يشكّل جزءاً من الحياة. المهمّ ليس أن نصبح كاملين بل أن نعمل بقلوبنا، بنظرنا ورجائنا .. نصل إلى السماء مُخلّعين بعض الشيء، لكن الربّ يرى كلّ العمل الذي قمنا به حبّاً به وبالآخرين. سوف يغمرنا بالنور.

الثقة بالله. الثقة بالله التي تستطيع كلّ شيء، الإيمان ... منذ البدء، كقوّة للمستقبل، كدقّة المركب وقت العاصفة (والأوقات المُشمِسة). وضع الله فينا كلّ ما يلزم لنعيش. حسب المثل، وضع في القمح ما يكفي من القوّة لينمو ويعطي سنابل مليء بالقمح... هذا القمح لن يتوقف نموّه بسبب الزوّان. ستقولون هذا تعليق أحد سكان المدينة، وتعليق ساذج بعض الشيء : الكثير من الأزواج ينفصلون. أجل، نعرف هذا. ومع ذلك، فإنّ حبّ الله الحاضر في حبّ الزوجين البشري، قويّ ! هذا مُعطى منذ البدء. لو لم تكن نحمله في قلوبنا ولو لم يكن يشكّل أساساً لكلّ شيء، كانت لتحصل الإنحرافات بالتأكيد. لطالما كان الإيمان قوّة ضد الظلمات، مهما كانت. يقول القديس بطرس : " إنّ إبليس خصمكم كالأسد الزائر يرود في طلب فريسة له. فقاوموه راسخين في الإيمان " (١ بطرس ٥/٩). أعطى الأب كافاريل نصيحة لشخص، كانت عائلته تعاني من محنة : " القديس كلّ يوم ". استطاع هذا الشخص أن يجتاز كلّ الصعاب، لا نقول دون جهد، لكن انتصرت الحياة. يا له من فرح عظيم.

في الواقع، ماذا يحصل في هذه الأوقات العصبية؟ الأمر الذي قلّمنا نذكره : الحبّ البشريّ بحاجة لمن يخلّصه. طريق الزواج هي درب صوب الله، وهي درب تطهير. الحبّ الإلهي الذي يتجسّد في الحبّ البشريّ، ينقيه، ينزع منه الأنانية، وقصر النظر... نقول :

" كلّ حبّ مصدره الله، لذا كلّ حبّ هو جيّد ... " ربما، لكن فقط حين ينبت. يُظهر الواقع أن عيش الحبّ هو طريق تحوّل. عند الإقلاع، لا ينقصنا الإندفاع. لكن علينا صيانة هذا الإندفاع، لأطول مدة ممكنة، بالإيمان بالله، والحضور المتواضع إلى جانب الآخر.

أسئلة لواجب المجالسة

- خلال هذا الشهر، ما الذي يمكن اعتباره كالزوّان، تمكّن من إعاقة نموّ البذرة الطيبة التي هي حبّنا ؟
- ما العلاج الذي يمكن لكلّ واحد منّا أن يقدمه ؟
- كيف السبيل إلى تحسين بعض المواقف أو بعض طرق التواصل التي يمكنها أن تكون عائقاً أمام العلاقة وأمام التعبير عن كلمة الآخر؟
- ما المكانة التي يحتلّها الربّ في حياتنا، وهل نثق به كفاية ليكون عوننا؟

أسئلة لإجتماع الفرقة

يصعب التعبير عن أزمات الأزواج الحميمة، في أغلب الأوقات في الإجتماع. بالمقابل، غالبًا ما تكون صعوبات الحياة موضوع مشاركة حياتية طويلة وعميقة.

▪ إلى أيّ درجة نعيش الحقيقة في علاقاتنا للإعتراف بصعوباتنا؟ كيف السبيل إلى نزع الأفتعة والصور التي نتخذها لتعطينا قيمة أكبر؟

▪ المَحَن : إنطلاقاً من تجاربنا، كيف ندرك أنه يمكنها أن تجعل كلّ شخص منّا ، ونحن كزوجين عطوبين، وتسبب لنا أزمة عميقة؟ ما هي المراحل التي نمرّ بها في كلّ محنة؟ ما هي الوسائل التي تساعدنا على تخطّيها؟

▪ الفرقة هي كحزمة، لا يمكنها التقدّم إلا إذا كان كلّ واحد متنبّه لنداءات الآخرين، الصارخة أو الصامتة. ما هو مستوى ثقنتنا وصبرنا تجاه الآخرين؟ كيف يساعدنا إيماننا وصلاتنا على تحسين هذا الأمر؟

الفصل الثالث

مثل الصبية الذين يحدون (غباوة هذا الجيل)

لوقا ٧ / ٣١ - ٣٥ - لسنا لوحنا في وقت الصعاب

" فِيمَنْ أَشَدُّ أَهْلَ هَذَا الْجِيلِ ؟ وَمَنْ يُشْبِهُونَ ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلَادًا قَاعِدِينَ فِي السَّاحَةِ يَصِيحُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَيَقُولُونَ : " زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقِصُوا، نَدَبْنَا فَلَمْ تَبْكُوا ". جَاءَ يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشربُ خمرًا، فقلتم : لقد جُنَّ. وجاء ابن الإنسان يأكلُ ويشربُ، فقلتم : هوذا رجلٌ أكلٌ شَرِبٌ للخمر صديقٌ للعشارين والخاطئين. لكنَّ الحِكْمَةَ قد بَرَّها جميعُ بنيتها "

١- عرض المثل

هذا المثل هو رائعة من الواقع : نرى مراهقين متفرغين حَردين ! إنهم مستأوون مهما حصل. ماتم أو عرس، الأمر سيان ... يحذّر يسوع سامعيه، بطريقة باسمة لكن رزينة : بشر يوحنا بالتوبة ... لم يلقَ آية ردة فعل. ويسوع بشر بالأفراح الآتية ... لم يلقَ أيضًا آية ردة فعل. الأهل، المُبشِّرون، وحتى معلّمو الدين، والمعلّمون، يعرفون هذا الأمر جيّدًا : نبشّر بالجحيم... أو بالسماء... لا ردة فعل ! هذا تعليم أوّل من يسوع : إن واقع سرّ الله لا يهمّ كثيرين. يقع كلّ شيء في الفراغ. واقع قاسٍ.

التعليم الثاني : " الحِكْمَةُ قد بَرَّها جميعُ بنيتها ". لم يحزم الربّ أمره حيال هذا الأمر. إلى جانب أولاده الذين لا يُحتمَلون، وجد الربّ أولادًا قابلين للتعلّم. أولاد الحِكْمَةِ الحقيقيين، سوف يشاهدون تدبير الله يتحقق، وكذلك ما أعلنه يوحنا المعمدان : سيدعوهم يسوع إلى عرس الله الأزليّ.

٢- حياة الزوجين

النظر والإصغاء إلى الآخر

أحيانًا يبدو هذا المثل صعبًا للفهم، وأحيانًا أخرى مُحيرًا، وللهولة الأولى، يبدو أنه لا يعنيننا. ومع ذلك :

كم مرّة يمكن لأحد الزوجين أن يقول للآخر : زَمَرْتُ لك فلم ترقص، لم ترَ حتى ولم تنتبه إلى كلّ ما أردت أن أقوم به من أجلك منذ سنوات عديدة، والآن لم تعد حتى تذكر ولا تتوانى عن توجيه الملامة إليّ. ربما لحن مزماري خافت، لكن لو أعرتني بعض الإهتمام لكننت سمعت الصوت، كنت أرجوك أن تسمعه، أن تعطيني بعض الوقت، بعض الحنان والتقدير والعرفان بالجميل، لكنك استمررت بالإنشغال بكل أنواع النشاطات، وصَمَمْتَ أذنيك وقلبك عن نداّتي".

يمرّ أحد أولادنا بمرحلة صعبة. لم نفهم نداّته الصامتة، لم نعر الإنتباه لبعض التفاصيل التي كان يمكن أن تكون مُعبرة. لقد عزف لنا، على مزماره الخاص لحنًا يعبر عن إحباطه أو إنزعاجه، لكننا لم نفهم شيئًا. إن لحن المزمار لا يكون دائمًا مسموعًا بواسطة الأذن البشريّة.

جَعَلْنَا أصدقاء لنا نفهم بكلمات مُجْتَرَّاة أن حياتهم الزوجية ليست على ما يرام. أصغينا إليهم ذات مساء، ثمَّ انسحبنا، غارقين في مشاكلنا الخاصة. " ماذا تريدن أن نفعَل من أجلهم؟ هذه مشكلتهم ". يمكننا عيش هذا المثل ألف مرَّة في لقاءاتنا البشرية، بالطريقة التي نصمَّ بها آذاننا وقلوبنا حتى لا نسمع ولا نتابع.

يمرَّ العالم كلُّه بأزمة اقتصادية لا مثيل لها. نشاهد التلفاز، نسمع الأخبار، ثمَّ لا نعود نفكِّر بالأمر، إلا حين يلمسنا الأمر شخصياً... ومع ذلك كم من ضيقات حولنا، كم من عَوَز وفقر نحول نظرنا عنه، لأننا غير مُبالين. نحن لا نسمع.

ألقي الكاهن يوم الأحد عظة في القُداس. أراد أن ينقل إلينا رسالة، فكَّر فيها مُسبقاً، طويلاً، وطلب العون من الروح القدس. لقد سمعنا نسبياً بأذنٍ ساهية، تركنا أنفسنا ننتلَّهَى بقبعة السيِّدة في الصف الثالث وانتقدنا تفاصيل العظة: " تكلم طويلاً؛ تكلم بسرعة؛ بصوت خافت، لم يكن لفظه واضحاً، كان مُملأً، إلخ " رسالته، ما هو مصيرها؟ ... لم ننتبه حتى إليها ... أو أننا نسيناها لحظة مغادرتنا الكنيسة.

لقد جهد يسوع بتقديم مثل لتلاميذه. سمعناه ألف مرَّة، وبدون شك حفظنا القصة لأنها كانت واقعية أو مُسلية، لكن هل نفكِّر بتطبيقها في حياتنا الخاصة؟ " زَمَّرَ بالمزمار " لنا، لكننا لم نرقص لأننا كنَّا صمَّ أو غير مُبالين.

يمكننا إلى ما لا نهاية، مضاعفة الأمثلة المأخوذة من حياتنا اليومية. في أغلب الأحيان، إنَّ واقع سرِّ الله وسرِّ قلب كلِّ واحد لا يشكِّل موضوع اهتمام، إلى حين يبدأ الأمر بإزعاجنا. العالم الحالي، في حالته الوثنية، هو أصدق دليل على هذا الأمر. ليس المزمار سوى صورة للتعبير عن أنَّ العالم لم يفهم، ولم يرقص فرحاً لدى سماعه نداءات الحبِّ الصادرة عن الربِّ.

استقبال الآخر

لسنا لوحدنا في الحياة، في مصاعبنا وفي أزماتنا. أولاً لدينا شريك. إذا واحنا أزمة شخصية وحميمية، يتحمَّل العواقب معنا حتى لو لم نتحدَّث عن الأمر أبداً. غالباً ما ذكر الأب كافاريل مثل المرأة التي خانت زوجها، والتي في نهاية واجب مجالسة بئاء، قالت لزوجها: " لو كنت تعلم ... " وهو أجابها: " كنتُ أعلم ... "

يدفع أولادنا دائماً ثمن أزمة شخصية أو زوجية. حتى لو أخفينا الأمر، فهم يتحمَّلون ثورات غضبنا، حسراتنا، إهمالنا، صراخنا، عدم اهتمامنا بمشاكلهم، إلخ. ولا يمكنهم أبداً التفوُّه بأية كلمة. نحن دائماً مرتبطون بالآخرين: كلُّ واحد يقمُّ لكلِّ واحد شيئاً منه. يستخدم الربُّ كلَّ الذين يحيطون بنا ليدعونا أو ليكلِّمنا. بكلماتهم، بركاتهم، بابتساماتهم، بنصائحهم، بعلامات حبِّهم أو صداقتهم، يحملون اهتمام وعناية الربِّ لكلِّ واحد منَّا. حتى ولو كنَّا نمرُّ بوقت عصيب، لأسباب مختلفة، شريكنا وأولادنا في الطليعة، ثمَّ كلُّ الذين نصادفهم في الحياة، ينقلون إلينا محبة أبانا السماوي " طوبى للذين لديهم عيون ترى وأذان تسمع " إفرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين" كما يقول مار بولس في رسالته إلى أهل رومة (١٥/١٢).

هذا مثل: حتى يساعدنا لنفهم ما هو حبُّه كآب لكلِّ واحد منَّا، يضع في متناولنا أمثال حسية عن الأبوَّة، أمثال نعرفها جميعاً. لدينا أب أرضي (دنيوي) ونحن آباء بدورنا، حين نرى حماسة أحد ابنائنا متوجِّهاً نحونا بكلِّ حنان، أو إذا كان أصغر سنًّا لملافتنا، يمكننا أن نفهم حماسة الحبِّ التي يجب أن تحرك صلاتنا لأبينا السماوي. حين يُجلس الأب ابنه الصغير على مقعد السيارة، لا يسأله الولد: إلى أين نذهب؟ يدع والده يقوده، لديه الثقة لأنَّه يعلم أنَّ والده يحبه ولا يمكن أن يريد إلاَّ خيره. نقول: " الربُّ راعيٌّ، لا يعوذني شيء " هذه ثقة الولد الذي يعرف أنَّه محبوب، ويعبِّر عن هذا إلى أبيه السماوي. كيف نعيش هذه الرسالة؟

لكن المثل لا يتوقف عند هذا الحد. إذا كانت البداية كنوع من الإثبات على عدم قدرتنا على فهم كل نداءات الرب من خلال الآخرين، فالجملة الأخيرة، إجابية بشكل رائع: " الحكمة قد برّها جميع بنيتها". الحكمة هي الرب، وبنوها تعني نحن. أي الذين يرغبون بسماع نداءات الآخرين، وفي الطليعة، نداء الشريك والأولاد، ونداء كل من يحيط بهم، الذين يسمعون صوت المزمارة والذين يبدأون بالرقص مع الفرحين، أو البكاء مع الحزينين، هؤلاء الذين يسمعون رسالة يسوع ويعملون بها. مهما حدث في حياتنا، لسنا لوحدها.

٣- حياة الزوجين في الله

تفهم الآخر

" يحبني كثيرًا لكنّه لا يفهمني " تصريح يُحزن بشكل عميق. يا للوحدة! يمرّ الآخر بالقرب منا ولا يرى ولا يسمع. أن نحبّ يعني أن نفهم الآخر. لكن هل هذا التصريح صحيح؟ أجل، بالتأكيد. لكن قصة أخرى تأتي لتوضّحه: " أنتظر دائمًا أن يحضر معه وروداً ... يُقدّم لي أزهارًا زرقاء! " عدم فهم، مرة أخرى؟ ربّما، لكن الأزهار الزرقاء هي نادرة أكثر من الورد! لماذا أركّز على انتظاراتي أنا، ولا أنتبه إلى ما يعطيني الآخر؟ لماذا على الآخر أن يحبني كما أريد أنا، ولا أدعه يحبني كما يتمنى هو؟

أن نفهم الآخر، هل هذا الأمر معقول؟ يمكننا سلوك أيّ سبيل يودّي بنا، إذا لم يكن إلى الفهم الكامل، على الأقل إلى الاقتراب من سرنا. كلّ هذه الدروب المُحمّلة تمرّ بالله، أو لتحديد أكثر، بالروح القدس، مُعلّم التواصل. الروح هو الذي يسمح بالإتحاد.

من الملائم أولاً أن نحبّ الوحدة. يأتي الروح في الصلاة ليعطي السكينة للقلوب، ويملأها من حضور الرب. يأتي ليفتح عيوننا على الآخرين. يعمل على تخفيف مطالبنا المتشدّدة، ويوقظ فينا فطنة القلب. إذا طردنا الوحدة، تُنفي انتظاراتنا للآخر: يصبح عندها اللقاء العميق صعب التحقيق، على الأقل على مستوى الداخل العميق، حيث يكمن سرنا، وحيث الله ذاته.

مدّ عبّارات للمرور

من الملائم أن نعرف أيضاً، أنّه من أجل لقاء الآخر، والدنو من سرّه، الجسور قليلة: نحفظ بها لوقت لاحق في الحياة، حين نصبح أكثر نضجاً، أو حين نصبح في الأبدية! بالمقابل، هناك الكثير من العبّارات الجميلة والمزروعة أزهاراً، تسمح بلقاء الآخر بشكل رصين وأكيد. ذات يوم، ينبعث نور، وبلحظة نلاحظ شيئاً من سرّ الآخر. هذه اللقاءات العميقة، هي معالم للطريق. هكذا نقترّب من الآخر بإشعاعات متتالية. هنا أيضاً، الروح القدس هو المُعلّم: يسمح بلقاء عميق بين شخصين في لحظة نور ... نجد بعدها تفاهة اللقاءات، لكن النور حاضر، ليس بعيداً. الروح المعلم، يعود دائماً. يجب علينا أن نرغب به، أن نطلبه.

تقبّل الآخر كما هو.

من الملائم أيضاً أن نصبر. ألحان المزمارة، الفرحة أو الحزينة، لا شيء مسموع ... نحن فقراء، وخطأة أيضاً. هذا يجعل الآخر يعاني وكذلك نحن ... لا يمكن تجنّب الأمر. هذا جزء من المسيرة. يتطلّب الأمر

تحوّلاً. يبدو أحياناً عدم تفهّم الآخر كحجر صلب ... لا يمكن تحريك شيء! لن يتحرّك شيء. هنا يلزمنا الكثير من الحبّ لتقبّل محدوديتنا العميقة، ومحدوديّة الآخر. تطلب الكنيسة في الليتورجيا: " تعال يا روح القدس ... ليّن ما كان صلّباً! " الصبر هنا هو رحمة كبيرة حيال الآخر وحيال أنفسنا. أن نصبر على صورة الله. نقدّم له هذه الكلمات: " أحبّني كما أنت! "

هناك صعوبات كثيرة. لكن كيف ننظر إليها؟ برجاء أو بتمرّد؟ دعونا لا نتوهّم، يمكن أن نتمرّد. إن مؤلفو المزامير يصرخون تمرّدهم بتعابير أحياناً عنيفة: دعونا لا نتردّد ونعبّر عن تمرّدنا مع هذه المزامير. هذا يهدّتنا لأنّها صرخات إلى الله، الذي يسمعها وهو يفهمنا، ويعيد إلينا الهدوء ويعطينا نظرة أطف تجاه الآخر.

في الحياة، طرق مسدودة كثيرة. لكن هناك أيضاً دروباً تقودنا إلى العمق، يفتحها الله أمامنا بواسطة روحه القدس، ويساعدنا على الإرتقاء نحو النور. في الله، يمكننا أن يحبّ أحدنا الآخر ويفهمه. يقود الروح كلّ شيء إلى غايته.

أسئلة لواجب المجالسة

- " لقد نفختّ بالمزمار ولم أرقص ". ليس بالأمر الصعب إيجاد أمثلة على هذا، في حياتنا الزوجية. ما العمل لتلبية نداءات الآخر بشكل أفضل، في هذه الحالة الواقعية أو تلك؟ متى لبّيّ نداءاته؟ متى شعرت أنّ الآخر يصغي إليّ؟
- بين الزوجين، يمكن أن يُوجّه الإنتقاد واللوم بسهولة. كيف يمكن أن نجعل من نظرتنا تجاه الآخر نظرة ترى الخير؟
- ما معنى أن يقبل أحدنا الآخر بنظرة المسيح؟

أسئلة لإجتماع الفرقة

- كيف يشعر كلّ واحد منّا أنّه معنيّ بمثل " الصبية الذين يحدرون " ؟ هل يمكننا تقديم أمثلة، بحيث أنّ أحدهم زمرّ لنا ولم نرقص " أو على العكس " رقصنا " ؟
- أثناء الإجتماعات وخارجها، كيف نكون مُتنبّهين إلى ما يعيش كلّ واحد وما يقول أو ماذا يريد أن نفهم؟ ما المواقف التي يمكننا تبنّيها لنستقبل ونسمع ونفهم بشكل أفضل؟
- من هم الأشخاص الذين ساعدونا في أوقات عصيبة أو في أزمت؟ ما كانت إنتظاراتنا؟ على ماذا حصلنا؟ في تلك الأوقات أيّة عبارات للمرور تمكّنا من مدها؟
- في المشاركة حول الحياة الروحية، كيف يمكننا أن نفهم بشكل أفضل النداءات التي يوجّهها الآخرون من خلال أقوالهم، وكيف نساعدهم؟ ما المعنى الذي نعطيه لتقبّل الآخر كما هو وبنظرة المسيح؟

الفصل الرابع

أمثلة ثلاث صغيرة

مثلا الكنز واللؤلؤة، مثل الشبكة، الجديد والقديم

متى ١٣/٤٤-٥١ - التمسك دائماً بالأمل

" مثل ملكوت السموات كمثل كنز دُفن في حقلٍ وجده رجلٌ فأعاد دفنه، ثم مضى فباع جميع ما يملك واشترى ذلك الحقل.
 ومثل ملكوت السموات كمثل تاجرٍ كان يطلب اللؤلؤ الكريم، فوجد لؤلؤةً ثمينة، فمضى وباع جميع ما يملك واشتراها."
 "ومثل ملكوت السموات كمثل شبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كلِّ جنس. فلما امتلأت أخرجها الصيادون إلى الشاطئ وجلسوا فجمعوا الطيب في سلالٍ وطرحوا الخبيث. وكذلك يكون عند نهاية العالم: يأتي الملائكة فيفصلون الأشرار عن الأخيار، ويقذفون بهم في آتون النار. فهناك البكاء وصرير الأسنان."
 "أفهتم هذا كله؟" قالوا له: "نعم". فقال لهم: "لذلك كلُّ كاتبٍ تتلمذ لملكوت السموات يُشبه ربَّ بيتٍ يُخرج من كنزه كلَّ جديدٍ وقديم".

١- عرض المثل:

إنَّ ملكوت السموات لا يُقدَّر بثمن. ما إن نجده، علينا أن نبذل جهدنا، وعند الحاجة التضحية بكل شيء بهدف امتلاكه.
 يمكن اكتشاف هذا الكنز عن طريق المفاجأة... فنحن لم نكن نتوقعه، ما من شيء كان يُنبئنا بخوض مثل تلك المغامرة!
 الربُّ يكشف نفسه للبعض عن طريق المفاجأة: هذه هي حال الإرتدادات؛ علاقات الحب أيضاً... مثل لويس و زيلي مارتن (Louis et Zélie Martin) للمتزوجين، ألفونس راتيسبون (Alphonse Ratisbonne)، إلخ.

قد يُكتشف هذا الكنز أيضاً بعد مسيرة بحثٍ طويلة، كما هي الحال في المثل الثاني. قرع البعض أبواب جميع الأديان حتى وجد المسيح في النهاية. انتظر شبَّانٌ طويلاً قبل أن يجدوا الشخص الذي يناسبهم.
 لكنَّ الدرس هو نفسه في الحالتين: يجب بذل كل جهدٍ بهدف ربح الملكوت! فهو أسمى من كلِّ الأمور. عند إيجاده لا يجب أن نفوت الفرصة وأن نسمح له بأن ينساب من بين أيدينا.
 إلى المثل الذي سبق (القمح والزوان) يُضاف هنا الدرس المشترك: ثمن الملكوت، ثمن الحبِّ الذي يتطلب التضحيات.

المثل الثالث يبيِّن، من جهته، ذكاء التلميذ. فهو يسمح للربِّ بأن يعلِّمه، هو يسعى دائماً وراء حكمة المعلم كي تقود حياته و حياة الآخرين نحو الملكوت. إنَّه يرغب في الدخول إلى حميمية (intimité) الربِّ.

٢- حياة الزوجين

البحث عن كنز الآخر:

الكنز المُخبأ في الحقل... إنه أولاً "اللؤلؤة الثمينة" التي وجدناها وأردنا أن نقترن بها وأن نقضي حياتنا كلها معها.

لو أننا لم نعتبرها "كنزاً"، كنزنا الأثمن والأكثر حميمية، هل كنا قمنا بذلك الرهان المجنون، بأن نُحِبُّ ونُحَبُّ لمدى الحياة من قِبَل هذا الشخص وحده؟

الحبّ – وأكثر أيضاً الحب الذي يجمع رجلاً وامرأة – هو الكنز الأثمن، لؤلؤة حياتنا الثمينة. ما نفع الثروات الضخمة وجميع التسهيلات التي تقدّمها الأرض إن كنا لا نُحِبُّ ولا نُحَبُّ؟ عندما نكتشفه (الحب) حريّ بنا أن "يغمرنا الفرح"، مثل الرجل في المثل الذي ضحّى بكل ما يملك كي يربح هذا الكنز.

بالنسبة إلى المسيحي، إنّ أجمل كنز، اللؤلؤة الثمينة، هو الله الموجود في شريك حياته، الله الذي يستخدم كل يوم حركات يديّ، كلمات وقلب الشخص الذي يحبّ كي يظهر له محبّته.

هذا ما يمكننا أن نطلق عليه اسم "ملكوت السموات"، ليس سوى "ملكوت الحبّ". الزوجان، العائلة هم ملكوت الحبّ بامتياز، لأن الله محبة، كل الحبّ الذي مصدره الله والذي يتجلّى في الحبّ الذي نحمله لبعضنا البعض.

لا يخبرنا المثل بما قام به الرجل بعد شراء الحقل لكن يمكننا أن نتكهن. نستطيع أن نقارنه بالفرح الذي يشعر به المتزوجون حديثاً الذين يحيون بعضهم، يكتشفون بعضهم ويقضون سنواتهم الأولى في السعادة. يختبرون معاً الثقة، الوفاء، الصبر، الحنان، المسامحة على الأمور الصغيرة.

مع مرور السنوات، يصبح الحبّ معرضاً للتراجع في حال لم ننتيقن للأمر. يستطيع حمل الحياة والهموم اليومية

أن يجعل الحبّ مملأً أو حتى أن يقتله، أن يتلف هذا الكنز الجميل. إن الحبّ الحيّ لا يبقى أبداً جامداً. إن لم يكبر ويثمر، فالوقت كفيل بأن يذيبه. وهذا ما يحدث في حياة عددٍ كبير

من المتزوجين، الذين باتوا عاجزين عن رؤية "اللؤلؤة الثمينة" التي يتشاركون معها الحياة اليومية؛ شجارات، سوء تفاهم، تدمير متبادل، جميعها تُضاف إلى صعوبات الحياة الحتمية، المشاكل الصحية، المشاكل في العمل، المشاكل مع الأولاد، إلخ.

يضيع وقت الحوار بين الحالات الطارئة وضجيج الحياة اليومية. يأتي يوم يتساءل فيه المرء: "لم أعد أعرف حتى الشخص الذي أعيش معه، الأمر الوحيد الذي يجمعنا هو ثقل الهموم، المشاكل، وإدارة كل يوم بيومه. لم يعد باستطاعتنا العيش على هذا المنوال. لم يكن هذا ما اخترناه. أنا أحتاج إلى السعادة وإلى الحبّ".

الحزن، الغضب أو الإحباط يجتاحون القلوب: "لقد قُضي على زواجنا".

أمامنا حلّان: إمّا أن نسخّر جميع الوسائل كي نخرج من هذا المأزق، وإمّا أن نستسلم ونهوي نحو الانفصال، الحزن، عدم الإستقرار لكلّ العائلة، إلخ.

الرغبة في التغيير:

في مثله يروي يسوع قصّة ربّ بيت يُخرج من كنزهِ كل جديد وقديم. بمقدورنا جميعاً أن نخرج من كنزنا كل جديد وقديم شرط أن تكون لدينا الرغبة في ذلك.

بالنسبة إلى "القديم"، علينا أن ندرك الوقت الذي نعلن فيه الحداد على: الندم الذي لا جدوى منه، العودة إلى الماضي، ولوم الآخر بصورة متكررة ودون ما لا نهاية كأثمة المذنب الوحيد في هذه الحالة. إنها أزهار سامة. يجب أن نعتزف بأننا تغيّرنا. لقد كبرنا، اكتسبنا خبرة، سلكنا مسارات مؤلمة، مختلفة، عشنا حياة مهنية استنزفتنا، قابلنا أشخاصاً قلبوا كل شيء رأساً على عقب. ينطوي كل فرد على نفسه لأن الآخر لم يكن على مستوى توقّعاته. يجب تقبّل كلّ تلك الحقائق مجتمعة.

الأزمات الشخصية، الإختبارات التي وُجِب اجتيازها، الحداد، المرض، الحياة المهنية التي انهارت ذات يوم دون سابق إنذار، ومشاكل أخرى غيرها، يمكنها أن تؤثر في العمق على وحدة الزوجين، لأن، كل فرد يعيش ألمه على طريقته الخاصة. انعدام الحوار، انعدام تفهّم الآخر، الإعتقاد بأن كلّ شيء سيتغيّر عندما سيتغيّر الآخر، جميعها سموم، لن تسمح أبداً، دون شكّ، بالخروج من الفترة التي تعجّ بالإضطرابات. ومع ذلك كل واحد يرغب، إلى حدّ ما، في أن يخرج لأنّه يدرك بأنّه الشرط الوحيد لإيجاد السعادة والسكينة التي يحتاج إليهما الجميع. إنّنا نحتاج إلى السعادة والحبّ في الحياة بقدر ما نحتاج إلى الشمس في السماء، ولكن يجب أن نرغب في ذلك أيضاً.

لا يمكننا أن نرضى بتعاستنا إلى ما لا نهاية. يأتي وقت يجدر بنا فيه أن نتجرّأ ونخرج من ذواتنا، أن نخرج من ألمنا وأن نعيش. لأن إرادة الحياة هي دائماً الأقوى. في الحالات الأكثر خطورة التي تنسّم باستحالة فهم بعضنا البعض، بالإنقياد إلى الإنهيار، بعدم الخروج من الذات، الحالات التي يتأكلنا فيها الألم إلى ما لا نهاية، التي ننفصل فيها عن بعضنا على مثال الملايين من المتزوجين، مع كلّ ما يرافقها من تمزّقات عائلية، هل هذا هو حقاً الحلّ الوحيد؟

إنطلاقة جديدة: الرجاء:

عندما نبحث عن كنز ما في الحقل، عندما نرمي الشباك في البحر، عندما نعمل كي نخرج بشيء جديد من قطعة قماش قديمة أو في قصّة قديمة، نحمل في قلبنا بصيص أمل؛ إنّه وعد وإلّا فهو مشروع. إنّه يحمل الخصوبة في طيّاته ولو بجرعة خفيفة. مع هذه الأمثلة الثلاثة البسيطة من الحياة اليومية، أصبح لدينا توجيه، بوصلة: المحافظة على الرجاء.

إستخراج "الجديد" من القديم. هذه الديناميكية التي يبعثها يسوع بنفسه تنطوي على الشجاعة بالشعور بالرغبة في التطلع إلى المستقبل بحزم. كُنَّا قد اكتشفنا اللؤلؤة الثمينة لكننا نسيناها، لقد فقدت قيمتها لكننا نرغب في إيجادها من جديد. من الممكن أن تكون مختلفة قليلاً، لن يحدث ذلك خلال أيام قليلة، يتطلّب الأمر بعض الوقت، لكن الهدف سيكون مشتركاً. من المحتمل ألا يكون أحد الزوجين عازماً على الخروج من المحنة بقدر ما يكون عليه الآخر. إنّ صبر الآخر سيساعده. يجب أن يقبل الإثنان بأن يحدثا تغييرات في حياتهما، تغييرات ليست دائماً سهلة. لكن إن لم نرض بإحداث أي تغيير، ما من شيء يمكن إعادة بنائه. كل شيء سيعود إلى نقطة البداية.

في الرجاء، أن يغيّر الشخص نظرتَه:

الرجاء والإرادة أمران أساسيان. تقضي الخطوة الأولى بأن نبذل نظرتنا نحو الآخر، دون أن نركّز فقط على خصاله السيئة، أن نعرف كيف نقدّره، أن نميّز حسناته، أن نعطي قيمة لأفعاله. يستطيع كل واحد منّا أن يعود ويتذكّر ما أحبه في طباع الآخر عند لحظة الاختيار. أن ينظر إليه بنظرة حبّ، بنظرة يسوع إلى كلّ واحد منّا. لنظرة الحبّ القدرة على تبديل شخص ما. يمكننا طلب هذه النعمة بالصلاة. إنّ الجديد. إنّ الرجاء.

في الرجاء، أن يغيّر الشخص نفسه:

تقضي الخطوة الثانية بأن نقبل بأن نغيّر أنفسنا إن لم يكن بالكامل - لأنه لا يمكننا أن نتغيّر أبداً كلياً. أقلّه أن نغيّر بعض الحركات الصغيرة الملموسة، بعض التصرفات المحددة، أن نمتنع عن توجيه كلمات جارحة مؤذية كان بإمكاننا تفاديها. إنه الجديد أيضاً عندما نقبل بهذه التغيرات. إنّ السلوك الأسوأ، ذلك الذي يدفع مباشرة نحو الحائط، هو أن نقنع أنفسنا بأن الآخر هو وحده المذنب وأننا لسنا بحاجة إلى إحداث أي تغيير في تصرفاتنا. الرضى الذاتي وإلقاء اللوم كلياً على الآخر يقضيان حتماً على العلاقة.

إن أسوأ الأمور هو بأن نفكّر: "أنا ليس لديّ ما أغيّره، على الآخر أن يبدّل تصرفاته." إنّنا نبني حاجزاً بوجه الرجاء في التجدد.

يسوع في مثله، يعطي دليلاً آخر: "ومثل ملكوت السموات كمثل شبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كلّ جنس." إنّها صورة الحياة نفسها حيث كل شيء يحتكّ ببعضه، حيث القمح والزوّان ينبتان معاً. "فلما امتلأت أخرجها الصيادون إلى الشاطئ وجلسوا فجمعوا الطيّب في سلالٍ وطرخوا الخبيث".

عندما نريد أن نخرج من أزمة معيّنة أيّاً كان نوعها، وأكثر من أزمة بين الزوجين، لا وجود لحلّ آخر سوى الجلوس معاً والتفكير في الأمور الجيدة التي يجب الإحتفاظ بها والأمور السيئة التي يجب طرحتها. إذا جلسنا معاً تحت نظر الربّ، إذا صلّينا معاً قبل المناقشة بتواضع ومع رغبة حقيقية في الخروج من المأزق، الربّ سوف يساعدنا على إيجاد الحلول الحكيمة. تحلّوا دائماً بالرجاء.

قد تتجسّد الحلول الحكيمة باللجوء إلى نصائح شخص قريب وعاقل. لكنّ الأمر يتعلّق بدايةً بإرادة الزوجين، المشاريع المُخطّط لها سويّاً (المشاريع التي يحبّها الإثنان) والإنتحاح على الآخرين الذين سيساعدون الطرفين على الخروج من المصاعب أو من الأزمات. عدد كبير من الأزواج عاش هذه التجربة وأعادوا بناء ذواتهم. إعادة البناء لا تتمّ بيوم واحد، كمعجزة هبطت من السماء. جميع الأزواج، حتى الأكثر لُحمةً، يمرّون بمراحل إعادة بناء عديدة في حياتهم مع تبدّل ظروفهم، ومع تعرّضهم للمحن والمصاعب من جميع المستويات. الزوجان، العائلة، يعبرون الحياة معاً، كما عبر العبرانيون الصحراء. رافقت المحن شعب الله طوال مسيرته لكنّه وصل إلى الهدف. الزوجان اللذان يؤمنان بمساعدة الله لهما كل يوم (بالمُن)، اللذان يطلبان بثقة "الخبز اليومي"، يمكنهما أن يعبرا الأزمات أو المحن في الوجود. الحياة هي دائماً الأقوى، إنّها نشاط متواصل، دَفَع أساسي من شأنه أن يحمل الآخر إلى أبعد من الحياة اليومية، أن يجعله "يغوص في البحر".

٣- حياة الزوجين في الله:

القرار بأن نقول "كلا":

"مقاطعة جارناك (JARNAC)، هل تعلمون! مقاطعتنا لا شارانت (LA CHARENTE)، ولو كونياك (LE COGNAC) وذكريات أخرى ... كنت يافعاً جداً في السن. كنت بالكاد أجد السباحة. كنت أسبح في نهر لا شارانت (LA CHARENTE)، ماذا فعلت؟ أشعر بأنني سوف أغرق. كانت تجربة مريعة لن أنساها أبداً. هل لمست القعر؟ لا شعورياً لظمت الأرض بقوة كأنني أقول كلا للغرق، للموت. عدت إلى سطح المياه وها إنني أنفست من جديد. كم استغرقت هذه التجربة من الوقت؟ ما هو عمق النهر عند هذه النقطة؟ لا يهم: الذكرى التي أحتفظ بها هي أنني في ذلك النهار قلت كلا للموت، مهما كان وجهه. كلمة "كلا" تؤسس حياة".

قصة صديقي هذه ملهمة جداً. في مسيرة الزواج، مسيرة الحياة، قد تهبّ العواصف وقد ننجرّف بها. ذات يوم، علينا أن نقول كلا. إنه قرار مؤسس لحياة الزواج. قرار يُتخذ في خضمّ أزمة عميقة، لكنه في الوقت عينه ثمرة قرارات أخرى اتُخذت في مراحل صعبة عادية. كلمة "كلا" هذه سوف تمكننا من التغلّب عليها. الأمثلة تصيب الهدف. "الفوز" بالملكوت علينا أن نرمي الشباك: والمفاجأة! سوف نجد ما نبحت عنه بسرعة؛ أو ربما قد نحتاج لوقت أطول في البحث لكننا سوف نجد في النهاية.

مهما كان الأمر، علينا أن نتحرّك، علينا أن نعمل، علينا أن نلتزم... كل شيء منوط بنا. السعادة في الحياة وفي الزواج لا تهبط علينا من السماء، علينا أن نبحت وأن ندرك ما هو سيئ ونرميه بعيداً. الزواج يُبنى: الأمر يعتمد على حريتنا وعلى إرادتنا.

النظر إلى المشكلة:

ويبقى السؤال: لم تلك الفجوات السوداء؟ تلك العواصف التي لم تكن نتوقعها؟ الظهور المفاجئ لعدم التفاهم فيما بيننا؟
رُددت عبارات كثيرة: النقص في الحوار بين الزوجين، تأثيرات المحيط السلبية، خطايا كل واحد منا... نعم، لكن يجب أن نجد أسباباً أخرى يمكنها أن تساعدنا.

لماذا اسودت السماء في حياة الزوجين؟ لماذا هذه الصعاب؟ الجواب هو: "هل نحن صلب وأقوياء أم لا؟ من المهم أن نعرف ذلك كي نستمر في الحياة".
 اعذروني على هذا التشبيه الذي سوف أعطيه: عندما نلصق قوائم الكرسى وندعها تجف ثم نحاول سحبها كي نتأكد من أنها التصقت جيداً وأنها ثابتة في مكانها.
 تظهر المشاكل في حياة الزوجين لسبب أو لآخر، تهزها وها نحن نتأكد من أن الزوجين صلبان وثابتان. طبعاً إن ذلك مزعج. طبعاً، يستطيع الشيطان أن يقتحم ذلك الاختبار ويسعى إلى تحطيم كل شيء، فتصبح المعركة محفوفة بالمخاطر. لكن المحنة المجتازة تثبت عمق الالتزام.
 نعم أم كلا؟ هل نريد أن نعيش معاً؟ الغيوم، عندما تتباعد، تجعلنا نرى بأننا ملتحمان، صلبان، وأنه بإمكاننا مواجهة المستقبل. ربما ستظهر مشاكل أخرى - لم نبحت عنها - لكننا سنكون أقوى في مواجهتها.

الرب وفِي:

إنها حقيقة للحياة الزوجية. إنها حقيقة للحياة الروحية. هل يبدو أن الله مختبئ؟ لم نعد نرغب في الصلاة، نرغب في أن نتوقف... وفي وجه كل محاولة لإحباط عزيمتنا، نستمر في البقاء أوفياء لله. الرب يتفهم، إنه يرى عبده الذي لا يستسلم. هكذا يُدعم الإيمان ويصبح أكثر صلابة.
 نادراً ما يكون فرح الصلاة خبزنا اليومي نحن المصلين. الرب يسمح لأولاده بالمرور في هذا الصمت كي يقوينا في الوفاء: لو اننا وجدنا المواساة دائماً لكننا أصبحنا أولاداً مدللين عاجزين عن الصمود في حياة الصلاة - أو في الحياة ببساطة - عندما تهبّ ريح أقوى.

الغوص في أعماق ذواتنا:

يجب أن نضيف هذا أيضاً. أجل، إن الصعاب موجودة. عندما نكون في خضمها، يا له من خطر يدهمنا! أجل. عندها علينا أن نغوص في أعماق ذواتنا كي نبحت عن أسباب لحياتنا، لاجتياز العقبة التي تعترضنا، لعدم الغرق.
 إنه عمل غالباً ما يكون ضخماً ومؤلماً، عملاً جباراً أحياناً: الغوص في أعماق ذواتنا والاستجابة للحياة، الحياة التي يدلنا عليها الرب.
 لكن هذا العمل يقوي شخصيتنا، يقوي - والأهم يطهر - تعلقنا بالآخر، بالله. إنها بشرى سارة، إنه نجم ساطع في السماء. إننا أقوى مما اعتقدنا، توجد في أعماق ذواتنا أسباب تدفعنا إلى الصمود، إلى أن نكون أوفياء.
 كان الأب كافاريل يقول غالباً بأن هناك "ظلمات الحب" كما أنّ هناك "ظلمات الإيمان"، تلك التي يتحدث عنها المصلون الكبار. في الظلمة، لا يجب أن ننكر ما رأيناه في النور. الوفاء، الذي غالباً ما يكون متواضعاً وعادياً جداً، سوف يكون مصدر الخلاص.
 للنفق نهاية دائماً، إنه العبور بالموت للدخول إلى الحياة الأبدية. إذاً فإن الحكمة التي يتكلم عنها يسوع تسكن فينا فنصبح مصدر نور للآخرين. أيها المسيحيون جميعاً مخلصون.

أسئلة لواجب المجالسة:

- انطلاقاً من الكنوز الكامنة في كلّ واحد منّا وانطلاقاً مما نحن عليه اليوم، كيف يمكننا أن نصنع الجديد من القديم؟
- إذا كنا نمرّ بصعوبات حقيقية لا نجرؤ على تسميتها "أزمات"، ما هي رغبتنا، إرادتنا لتخطيها؟ أم أننا نكتفي بترميم يومي لا مستقبل له؟
- ما هي المشاريع الممتعة التي سنضعها كي نعيش الأشهر المقبلة بملئها وكي نتفادى العودة الدائمة الى الماضي الذي يؤذينا؟
- بالنسبة إلينا كزوجين ما معنى "الرجاء"؟ ما هو "رجاؤنا" المشترك؟

أسئلة الإجماع:

- عندما نجد فرقة أخوية ومحبة أو عندما يكون لدينا أصدقاء حقيقيون نشعر كأننا وجدنا "الؤلؤة ثمينة". ما هو وضعنا بعد مضي سنوات عديدة على لقائنا؟
- حماس الإنتماء إلى فرقة قد يخفّ مع الوقت. كيف تبعث نقاط الجهد الحماس في فرقتنا؟ إذا كانت المشاركة مجرد أحاديث ممتعة مع الآخرين، أي جهد علينا أن نبذله كي نتغيّر؟
- خلال التجارب والمصاعب، كيف يساعدنا القرار بقول "كلا"، بالتخلّي، على التغيير، على الغوص في أعماقنا؟
- ما هو "الرجاء"؟ كيف نعيشه في زواجنا؟ في عائلاتنا؟ في مجتمعا؟ كيف يستطيع الرجاء مساعدتنا كي نتغيّر؟

الفصل الخامس

مثل الخروف الضال ومثل الدرهم الضائع

لوقا ١٥، ٤-١٠

في خضمّ المحنة، البحث عن الوسائل لتخطيها.

فضرب لهم هذا المثل قال: "أي امرئ منكم إذا كان له مائة خروف فأضاع واحداً منها، لا يترك التسعة والتسعين في البرية ويسعى الى الضال حتى يجده؟ فإذا وجده حمله على كتفيه فرحاً، ورجع به إلى البيت ودعا الأصدقاء والجيران وقال لهم: إفرحوا معي، فلقد وجدت خروفي الضال! أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة".

"أم أي امرأة إذا كان عندها عشرة دراهم، فأضاعت درهماً واحداً، لا توقد سراجاً وتكنس البيت وتجذّ في البحث عنه حتى تجده؟ فإذا وجدته دعت الصديقات والجارات وقالت: إفرح معي، فقدت درهماً الذي أضعته! أقول لكم: هكذا يفرح ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب".

١- عرض المثل:

الفصل ١٥ من انجيل القديس لوقا هو فصل الرحمة. الرحمة، مثل الفرح، هي موضوع عزيز على قلب لوقا. هنا، رجلاً وامرأة، لوقا يحبّ المساواة!

يبين هذان المثلان البساطة التي يقدم فيها يسوع الأب فهو طبعاً الرجل الذي أضاع خروفه والمرأة التي أضاعت درهماً. مئة خروف، ليس بالعدد الكبير، ولا الدراهم العشرة، هذا الرجل وهذه المرأة ليسا غنيين. تتم مقارنة الربّ (وهو الغنيّ) بهذين الشخصين، والربّ (وهو الغنيّ) يهتم بأصغر أطفاله إذ لا يمكن استبدال أيّ واحد منهم. كلّ مخلوق من مخلوقات الرب لا يُقدّر بثمن. ذلك هو المعنى العميق لهذين المثلين.

نتائج ثلاث:

أولاً، لا يوفّر الرب وسيلة بهدف إيجاد ابنه الضال. تلك هي قصة الخلاص: أرسل الرب الأنبياء ثمّ ابنه الوحيد، يسوع، الذي سيعود إلى أحضان أبيه حاملاً الخروف الضالّ على كتفيه. الخروف مريض لدرجة أنه بات عاجزاً عن المشي، يسوع يمدّ له يد العون.

ثانياً، الفرح في السماء. يشعر الربّ بفرح عظيم فيدعو كل أهل الفردوس. يزداد الرابط بين الله والإنسان قوةً، هكذا يجب أن تكون لقاءاتنا. عندما تتمّ هذه اللقاءات بحضور الرب يكون الفرح في السماء وفي سماء قلوبنا.

أخيراً، هل يوجد ٩٩ باراً؟ أيّ بار ليس بحاجة إلى المغفرة؟ في الحبّ تشكّل المغفرة مكوناً أساسياً.

٢- حياة الزوجين:

في وجه الخسارة: الإنطلاق

عندما كان يسوع يكلم الجموع بالأمثال، كان يختار أمثله دوماً من حياة الذين يسمعون الواقعية. كان الجميع قادراً على فهم الحزن الناتج عن خسارة خروف أو خسارة محفظة تحتوي على مدّخرات مالية قيّمة. كان الجميع قادراً إذاً على فهم الفرح الناتج عن إيجادها بعد عمليات بحث طويلة كونها تجارب عشناها كلنا بطريقة أو بأخرى.

حالياً، خفت فقداننا لخرافنا أو دراهمنا ولكن يمكننا أن نفقد أموراً أخرى ذات أهمية أكبر، يمكننا أن نخسر إيماننا، أو حبنا، أو زواجنا، أو عملنا، أو صحتنا، أو صحة شخص قريب، أو شخص. في الأزمة الاقتصادية الحالية يمكننا أن نخسر راتبنا، أن نخسر قدرتنا الشرائية أو حتى مدّخراتنا، يمكننا أن نصبح عاجزين عن دفع أقساطنا إلخ. اللائحة طويلة جداً للأسف ولا يواجه أيّ واحد منا صعوبة في ذكر شيء قيّم قد خسره. يسبّب كلّ ذلك ألماً قوياً، كونها كلها أمور رئيسية تعكّر خسارتها الهدوء والإستقرار في حياة الزوجين أو حياة العائلة. طبعاً، لا يمكن استرجاع كلّ شيء. في وجه الحداد أو الأمراض الخطيرة نشعر بالهزيمة، وبالرغم من ذلك يجب أن نعيش وأن نحاول البحث عن السكينة.

طبعاً نحن نملك مفاتيح الحلّ في مواجهة بعض الحالات. نستطيع، على مثال الراعي في المثل، أن ننطلق بحثاً عن المخرج من المأزق. يتطلّب هذا الأمر إرادة قوية وعملاً دؤوباً ونكران للذات. الراعي الذي يهيم في الصحراء بحثاً عن الخروف الضال أو المرأة التي تنظف بيتها وتعيد ترتيبه حتى تجد درهمها، لا يهتمان بألمهما أو تعبهما. إنهما مصممان، محقّزان للخروج من هذا الحزن الذي يتأكلهما، وهما يجتّدان كل طاقتهما ووسائلهما في سبيل تحقيق هدفهما.

الإنّباه إلى ما فقد:

يأتي وقت تطغى فيه رغبتنا في إيجاد ما فقدناه لدرجة أن كل الأمور الأخرى تبدو ثانوية. عندما نقرأ بأن الراعي ترك خرافه الـ ٩٩ وحدها في الصحراء ليذهب ويبحث عن الخروف الذي هرب، نشعر بشيء من المفاجأة. ومع ذلك فنحن نقوم بالأمر عينه. عندما نمرّ بظرف صعب، يلازمنا الألم أينما كنّا، فنفقد الرغبة في التسلية أو في لقاء الأصدقاء أو في النوم أو في الرغبة في الحياة. غالباً ما لا نعد نعيّر انتباهنا لأولادنا الذين يتألّمون بصمت. تتردّد على مسامعنا التعابير التالية: "مرّ وقت طويل لم نركم فيه" ونجيب: "هذا صحيح، كنا منشغلين كثيراً". في الواقع أصبحت المشكلة محور حياتنا ففقدنا الإهتمام بأيّ أمور أخرى.

بعد أن وجد خروفه المنهك، عاد الراعي حاملاً إياه على كتفيه لأنه كان ضعيفاً للغاية. مما لا شكّ فيه أن الراعي كان منهكاً أيضاً جرّاء السير في الصحراء ومع ذلك حمل خروفه بحبّة وحنان. هنا أيضاً تتشكّل صورة زوجين نجحوا في تخطي فترة من الإضطرابات. كل واحد منهما مجروح ومنهك لأسباب مختلفة.

إدراك الألم:

الدواء الأول، قبل أي شيء آخر، هو إظهار العاطفة، الإنتباه إلى حاجات الآخر، الإعراف بأنه تألم ومحاولة فهمه. تذكر الحب الذي كان موجوداً في بدايات الزواج. التعبير عن إدراك وفهم الألم الذي عاشه الآخر يشكل بحد ذاته خطوة كبيرة نحو الأمام. هذا الأمر يتطلب كماً هائلاً من التواصل، من إعادة التفكير، من المسامحة على كل لحظات الإستهياء والغضب والكلمات الجارحة.

يخرج كل شخص ضعيفاً جداً من الفترة العصبية التي كان ماراً بها (طبعاً لا أحد يخرج من المحنة خلال يوم واحد) يلزم المرء أحياناً شهوراً أو ربما سنوات قبل أن يتمكن من القول: "الآن أشعر بتحسّن".

القليل من الوداعة في القلب يسمح للمرء بأن يعيش حياة أفضل حتى بعد خيانة أو وفاة شخص قريب. لكن إن كنا نرغب بذلك حقاً سوف يأتي اليوم الذي يعبر فيه كل شخص عن مكونات قلبه بكل صدق.

يستطيع أي زوجان أن يجدا الوسائل المناسبة لظروف معينة كي يتمكنوا من تخطي الفترات الصعبة بروية.

الفرح بتخطي الأزمة:

الرائع في هذا المثل هو فرح الراعي الذي وجد خروفه و فرح المرأة التي وجدت درهمها.

"افرحوا معي": يرغب كل واحد منهما في مشاركة فرحه مع أصدقائه ومعارفه.

ليس بالضرورة بالنسبة إلى زوجين عادا والتفيا أن يعلننا ذلك على السطوح، ولكن يمكنهما مشاركة فرحهما بطريقة مختلفة كدعوة أصدقائهما إلى منزلهما. فالزوجان المتحدان اللذان يدعون الناس إلى مائدتهم يشكّلان علامة للإتحاد.

القول للأولاد: "أمكم رائعة لأنها قامت بهذا الأمر... أو أبوكم رائع لهذا السبب..." هو علامة إيجابية.

الأمر مشابه لحالة الراعي أو المرأة اللذين يقولان لأصدقائهما: "افرحوا معي". يجب أن نتجراً على قول ذلك حتى ولو أن المحيط ادعى أنه لم ير أو يسمع شيئاً خلال فترة الإضطرابات، فالواقع أنه كان يلاحظ جيداً كل ما يحدث من حوله. في المقام الأول الأولاد فهم الشهود الأوائل على الخلاف ثم الأهل والأصدقاء المقربين.

البقاء متيقظين:

يُعتبر تخطي محنة صعبة أو أزمة ما، نصراً دون شك. مع ذلك ماذا سيفعل الراعي أو المرأة اللذين أضاعا الخروف والدرهم؟ سوف يحاولان أن يكونا أكثر تنبهاً كي لا تتكرر الحادثة نفسها. سوف يسهر الراعي طبعاً على أن يحرس قطيعه بطريقة أفضل والمرأة على أن تخبئ دراهمها بانتباه أكبر.

في حياة الزوجين الأمر مشابه لذلك تقريباً مع الإدراك أن لكل شخص طباعه ونقاط ضعفه وردات فعله وإطار حياته. من الصعب تغيير الطباع ولكن يمكن تغيير ردات الفعل، لأنّ التجارب تعمل على تلقيننا الدروس.

نعرف تماماً أن الأسباب نفسها تولّد النتائج نفسها. الحكمة تقضي إذاً بأن نحاول ألا نضع أنفسنا في المواقف نفسها، الأمر الذي يتطلّب التيقظ التام والمساعدة المتبادلة والحوارات الكثيرة. يوجد عدد كافٍ من الأزواج الذين نجحوا في تحقيق ذلك مما يسمح لنا بالقول إنه أمر يمكن إنجازه إذا كانت الرغبة موجودة حقاً.

حتماً ستكون هناك انتكاسات، لحظات صعبة جديدة لأن الحياة مليئة بالمواقف الصعبة وغير المتوقعة، ولكن إذا وثقنا بالرب، بالوفاء (أو العودة) إلى الصلاة عندها سنتذكر أنه الراعي الصالح الذي سيترك كل شيء كي يذهب للبحث عن خروفه الذي ضاع في الصحراء.

٣- حياة الزوجين في الله:

بعد الألم، الفرح المطهر:

هناك أيام الزواج الجميلة، أيام الإندهاش الأولى أمام الحياة الجديدة التي تفتح أبوابها. الفرح الرائع الذي نحفظ بذكره إلى الأبد. ثم تمرّ أيام سيئة لم نحلم قط بأنها قد تطالنا ببشاعتها. لا يمرّ بالضرورة كل الأزواج في هذا النوع من المحن ولكن جميعهم يواجهون الصعاب في وقت معيّن.

ذات يوم الشمس ستشرق والرؤية ستتجلى. ثمرة عمل طويل، ثمرة الصلاة، ثمرة المساعدة المتبادلة بين الأصدقاء أو مساعدة الكاهن، ثمرة حبّ كبير مثابر، يبذل الزوجان نظرتهما إلى نفسيهما، إنهما يتنفسان الصعداء، فيعود الفرح. لم يعد الفرح الأول، فرح الذهول: إنه فرح أجمل، أعمق، أكثر جدية ورسالة ربما، أقلّ حماسة، أكثر بساطة بالأخص! لقد طهرتتنا النار. لقد اجتزنا المحنة. الحب كبير. كيف نعبر عن ذلك؟

أن نصبح أكثر تواضعاً:

الفكرة الأولى التي تخطر على بالنا هي أننا أصبحنا أكثر تواضعاً، أكثر بساطة. مثلما يحدث بعد عملية جراحية، نتفاجأ بأننا ما زلنا على قيد الحياة، بأننا ما زلنا قادرين على المشي...

كان النبي إيليا يشعر بحيرة كبيرة عند لجوئه إلى الرب في جبل حوريب هرباً من كره الملكة إيزابيل (سفر الملوك الأول 19/1-5). وهو في الطريق، أدرك أمراً مؤلماً: "لست أفضل من آبائي." هل كان يظن فعلاً بأنه سيفوقهم نجاحاً ويعيد الشعب إلى الله بفضل عمله الدؤوب؟ بأي حال، الرب يساعده في امتحانه الصعب، من الخطأ الذي ارتكبه في ممارسة كهنوته. صحيح، هو ليس الأفضل، ليس أعلى مرتبة من الآخرين ليس سوى خادم الرب.

إنها الهدية المقدّمة إلى الذين "يخرجون من المحنة" فهم يصبحون متواضعين، الرب يجعل منهم أشخاصاً بسطاء. النفس تسترخي، فننظر إلى بعضنا بطريقة مختلفة. نتصرّف أخيراً على طبيعتنا أمام الله.

الإعتراف بحضور الله:

يجب أن نقول هذا أيضاً: الرب كان موجوداً. بعدما نحصل على نعمة الخلاص، ننظر لا شعورياً إلى الوراء. لماذا خرجت من المحنة؟ كما سبق أن قلنا، يتطلّب الأمر الإرادة والمثابرة والغوص في أعماق نفوسنا بحثاً عن القوة لمواجهة الصعاب. ضوء جديد يفرض نفسه تدريجياً. إنه الرب الذي كان هنا. إنه الرب الذي أرسل لنا روح القدس كي ينيرنا: بلباقة سمح بذلك اللقاء، بتلك القراءة، بذلك الصمت ربما... الروح القدير يقودنا خطوة خطوة نحو الضوء. الرب يعمل بالخفاء، لا يفرض نفسه لكنه يعمل بطريقة فعّالة. هو يحترم حريتنا وفي الوقت نفسه يتصرّف كحليف لحياتنا، لمحيطنا، للأحداث كي يقودنا نحو حقيقتنا، نحو الحب

الحقيقي. الرب موجود. كما يحب الأزواج المسيحيون أن يرددوا: " تبقى نعمة سرّ الزواج ناشطة، فهي لا تتبخّر!"

الرب هو الساهر الدائم:

ثالثاً، لنتابع اكتشافاتنا. عندما نخرج من المحنة نرى بعد ذلك بأن الراعي ترك كل شيء وذهب بحثاً عنّا. مئة خروف ويضيع واحد، سامحوا الفريسيين فهم لا يعرفون التمييز بين الخراف، بعكس الراعي فلكل خروف إسم. الحب هو الذي يدفعه للبحث عن خروفه الضال.

أن يكون كل واحد منا محبوب إلى هذه الدرجة! يا له من اكتشاف رائع، أن نعرف عند تخطينا المحنة كم نحن محبوبون من الله! "الأب يحبكم" (يوحنا ١٦، ٢٧) هذا ما قاله يسوع للتلاميذ. ما من شيء آخر يمكنه إعادة التوازن إلى الحياة المسيحية، إلى الحياة الإنسانية. أن يكون الله هو الأب، الله الذي يهتم بنا حتى أصغر تفاصيل حياتنا، ليس فقط خلال الأزمات الكبيرة، ولكن الذي يسهر علينا في أصغر الصعاب.

طبعاً الله ليس بساحر، فهو لن يزيل الضباب الذي يسدّ الأفق أحياناً. كلا، إنه الأب الحاضر والذي يثق بنا. الرب هو أب يقوم بتثقيفنا، يقودنا، يخلصنا يحررنا. وضع حياته فينا، نحن أولاده.

إعطاء الفرح:

خلاصة المثليين: الفرح، الفرح في السماء، القديسون في السماء يشاركوننا الفرح كما يفرح أفراد عائلاتنا لأننا الآن في قلب الأب، خاصة إن لم يكن أبونا أو أمنا أو أي شخص آخر يتصرف بؤدّ معنا على الأرض... فهم يعوّضون الآن عن ذلك بالسهر علينا. الرب يعرف أيضاً كيف يقوم بترتيبات الرحمة هذه. الخلاصة: دعونا لا نحبس أنفسنا داخل أزماتنا الطويلة أو القصيرة، فالخروج منها يعني إعطاء الفرح للرب وللأصدقاء.

في النهاية: هل يبقى فينا شيء من هذه المحنة؟ هل تترك فينا أثراً أو مرارة؟ سوف نرى ذلك لاحقاً في مثل الإبن الشاطر.

أسئلة لواجب المجالسة:

■ انطلاقاً من خبرة عشناها (إختبار، أزمة) دعونا نصنّف الوسائل التي استخدمناها للخروج منها.

ما هي الوسائل الأكثر إفادة؟ تلك التي ساعدتنا أكثر؟

■ الخلافات ملازمة لحياة الزوجين وحياة العائلة. بعض الخلافات تؤذي الأولاد. كيف نجتّبهم ذلك؟ هل ننتبه دائماً إلى عدم إثارة المواضيع التي قد تؤلمهم؟ وبالعكس هل نتجرأ القول إنّ طرح الخلاف قد يساعد في حلّه؟

■ خلال الصعاب التي نمرّ بها، كيف نجعل الرب حاضراً في قلب ألمنا؟ إلى أي فرح يدعونا بالرغم من كل شيء؟

أسئلة لاجتماع الفرقة:

■ ماذا علّمنا مثل الراعي الذي أعاد خروفه الضال والمرأة التي أضاعت درهماها؟ ما هي التطبيقات الملموسة التي يمكننا استعمالها في حياتنا؟

- ما هي الوسائل الواجب استخدامها لمساعدة شخص ما لتخطي أزمة معينة؟
- كيف ننقل هذا التعليم إلى أولادنا؟
- بعد مساعدة شخص ما يتخبط في محنة ما هي الدروس التي نستخلصها؟ إلى أي ارتداد شخصي يدعونا ذلك؟

الفصل السادس

مثل الإبن الضال - لوقا ١٥/١١-٣٢

المسامحة

وقال: «كَانَ لِرَجُلٍ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ اعْطِنِي النَّصِيبَ الَّذِي يَعُودُ عَلَيَّ مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ مَالَهُ بَيْنَهُمَا. وَبَعْدَ بَعْضَةِ أَيَّامٍ جَمَعَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ، وَسَافَرَ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ، فَبَدَدَ مَالَهُ هُنَاكَ فِي عَيْشَةٍ إِسْرَافٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، أَصَابَتْ ذَلِكَ الْبَلَدَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَخَذَ يَسْكُو الْعَوْرَ. ثُمَّ ذَهَبَ فَالْتَحَقَ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَارْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ يَرْعَى الْخَنَازِيرَ. كَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَا يُعْطِيهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ أَجِيرٌ لِأَبِي يُفْضِلُ عَنْهُ الْخُبْزَ وَأَنَا أَهْلِكُ هُنَا جُوعًا! أَقُومُ وَأَمْضِي إِلَى أَبِي فَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبَتِ إِنِّي خَطِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَيْكَ. وَلَسْتُ أَهْلًا بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا، فَاجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَانِكَ. فَقَامَ وَمَضَى إِلَى أَبِيهِ. وَكَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا إِذْ رَأَاهُ أَبُوهُ، فَاسْتَفَقَ عَلَيْهِ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ طَوِيلًا. فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ: يَا أَبَتِ، إِنِّي خَطِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَيْكَ، وَلَسْتُ أَهْلًا بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الْأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَسْرِعُوا فَاتُوا بِأَفْخَرِ حُلَّةٍ وَالْبَسُوهُ، وَاجْعَلُوا فِي إصْبَعِهِ خَاتَمًا وَفِي رِجْلَيْهِ حِذَاءً، وَاتُوا بِالْعَجَلِ الْمُسَمَّنِ وَادْبَحُوا فَنَأْكُلْ وَنَتَنَعَّمُ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ. فَاجْعَلُوا يَتَنَعَّمُونَ. وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ، فَلَمَّا رَجَعَ وَاقْتَرَبَ مِنَ الدَّارِ، سَمِعَ غِنَاءً وَرَفْصًا. فَدَعَا أَحَدَ الْخَدَمِ وَاسْتَخْبَرَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ: قَدِمَ أَخُوكَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعَجَلَ الْمُسَمَّنَ لِأَنَّهُ لَقِيَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَأَبَى أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُوهُ يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْخُلَ، فَأَجَابَ أَبَاهُ: هَا إِنِّي أَخْدَمُكَ مُنْذُ سِنِينَ طَوَالٍ، وَمَا عَصَيْتُ لَكَ أَمْرًا قَطُّ، فَمَا أَعْطَيْتَنِي جَدِيًّا وَاحِدًا لِأَتَنَعَّمَ بِهِ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَمَّا رَجَعَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَالَكَ مَعَ الْبَغَايَا ذَبَحَتْ لَهُ الْعَجَلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ مَعِيَ دَائِمًا أَبَدًا، وَجَمِيعُ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ. وَلَكِنْ قَدْ وَجِبَ أَنْ نَتَنَعَّمَ وَنَفْرَحَ، لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ».

١- عرض المثل

مثل بثلاثة فصول:

الفصل الأول : الإبن الأصغر : خطيئة وندامة (الآية ١١ - ١٩)

طائش. أخذ حريته، يريد أن يعيش بمعزلٍ عن الأب، أن يصنع حياته بنفسه. فجأة أصبحت حياته حياة تشتت، رأى نفسه وقد تحول إلى البؤس، فراح يأكل من الطعام الذي يُقدَّم إلى الخنازير، الخنزير الذي يرمز إلى الدنس. في قعر الهاوية، عاد إلى ذاته، وكانت هذه بداية العودة إلى الأب، بداية الندامة. عودة فيها منفعة، لكن في مطلق الأحوال، إنها عودة. يُخبرُ يسوع قصة آدم وحواء على طريقتة : عيش الحياة بمعزلٍ عن الله، التشتت، البؤس، الدعوة للعودة إلى الله. عودة ذات منفعة؟ بالتأكيد، نعود، سجناء لأخطائنا، لكن متأكدين أننا سنستقبل بالترحيب؛ الندامة الكاملة تُعلن حين يُظهر الأب حبه.

الفصل الثاني : الأب : حبّ وحقيقة (الآية ٢٠ - ٢٤)

موقف الأب مزدوج. من جهة يُظهر حبه، وفرحته لرؤية ابنه يعود. وليمة، ثوب العيد... لا ملامة ظاهرة، لا إشارة عن الماضي. انتهى الأمر! كل شيء حب! ومن جهة أخرى، يقول الأب الحقيقة: أبعد من الخطيئة الظاهرة، يقول ما هو خلفها، ما هو مصدر الشر: "لأنَّ ابني كان مَيِّتًا فَعَاشَ... وكان ضالًّا فَوُجِدَ!" أظهر يسوع بشكل بارز مصدر كل خطيئة يرتكبها الإنسان: أكثر من تبيذير النقود، أبعد من كل الخطايا، تكمن المأساة في الإرادة في عيش الحياة مع نسيان الله، وعدم محبته. فجأة، إنها العبودية، الموت. بالمقابل، الخلاص

والحرية، هما بالعودة إلى الأب، إلى شخص الأب ! حين تعود العلاقة إلى سابق عهدها، يحصل الشفاء تدريجياً، إنها حياة مختلفة، تشبه وليمة العيد. إنها استراحة.

الفصل الثالث : الإبن البكر : عدالة وكبرياء (الآية ٢٥ - ٣٢)

الإبن البكر، رجل صالح، مصدوم من رقة الوالد تجاه هذا الإبن الذي يبذّر كلّ شيء. هذا يشبه موقف الفريسي من العشار (لوقا ١٨ / ٩-١٤)، موقف الكبرياء من قبل الذين لا يُعيرون أنفسهم بشيء، لكن تنقصهم المحبة. الأخ الأصغر كان خاطئاً، ولم يعد كذلك، لأنه غُور له... يظهر الإبن البكر بمظهر الرجل الصالح، لكن يظهر في الواقع أنه خاطيء، بعدم إظهار رحمة تجاه أخيه. فيسوع، كمعلم، يظهر أنه، أهم من التقيد بالقوانين، هناك الحب الذي يعطي معنى لكل شيء، للأمانة بالثبات فيها، ولعدم الأمانة بتنقيتها.

غالباً ما أظهر آباء الكنيسة، أن الإبن الأصغر الجديد، هو يسوع الذي ترك أبيه ليذهب في الأرض ويجمع الميراث المبعثر؛ الإبن الأكبر الجديد، هو أيضاً يسوع، الذي يلزم الأب، وقوته (غذاءه) أن يعمل مشيئة أبيه... يُظهر هذا المثل مأساة الخطيئة، لكن خاصة و بشكل متناقض، رحمة الله الإستثنائية. الأمثلة تقضي بأن نتذكر المغفرة التي نلناها، حين نتذكر الخطيئة.

٢- حياة الزوجين

هذا المثل هو مثل المسامحة. ليس هناك من حياة زوجية بدون مسامحة، بكل بساطة، لأنّ رجل وامرأة لا يمكنهما أن يعيشا معاً حياة كاملة دون أن يجرح أحدهما الآخر، بشكل خطير نسبياً، على مرّ الحياة اليومية. لكن مهما كانت هذه الجروح كلاً، وخاصة تلك التي تصدر عن المحبوب، عن الشخص المُختار من بين الجميع، فهي تؤلم. كلّما أحببنا شخصاً، كلّما أصابت الجروح التي يسببها لنا، أعماق القلب.

الواحد مسؤول عن الآخر

بواسطة سرّ الزواج، يصبح كلّ واحد من الزوجين مسؤولاً عن الآخر، ليس فقط عن حياته، بل عن توازنه النفسي، وعن كلّ أحواله، عن إدراكه، وفرحه في الحياة، أحاسيسه، باختصار عن كلّ كيانه. إذا كان هناك علاقة إنسانية، حيث تكون المغفرة حيوية، فهي بالتأكيد بين الزوجين، حيث التفاعل المستمر بين الرجل والمرأة اللذين يعيشان تحت سقف واحد، يخلق مواقف قادرة على إحداث خلافات أو جروح من كل نوع. الحياة المشتركة، وكذلك الحياة مع الاولاد الذين يمكنهم أن يفقدكم صبركم، لا بدّ من أنّها تؤدي إلى ثورات غضب، اختلاف بوجهات الرأي، نزاعات تتطلب مسامحات ولو حتى بسيطة : " لا تغربن الشمس على غيظكم" (أفسس ٤/٢٦) يقول القديس بولس، ويسوع أعطى توجيهها : " سبعة وسبعين مرة سبع مرات " ! بالطبع ليست كلّ أنواع المسامحة من المستوى ذاته. نعرف أنّ كلّ جروح الحياة اليومية، الصغيرة، تسبب ألماً: عدم الإصغاء، عدم التقدير، الكلمات الجارحة، إلخ... لكن هناك جروح كبيرة تشوّش ويمكنها أحياناً أن تغرق زوجين، أو على الأقل تمنعهما من أن يعطيا ثماراً : عدم الأمانة بالطبع، الخيانة، وأيضاً الكذب، والرياء، الأنانية، الإحتقار، والكلمات الجارحة، إلخ ... اللائحة طويلة لا نهاية لها. مهما كان الجرح بليغاً، يبقى طلب المسامحة أمراً ضرورياً. في مثله هذا، يعطينا المسيح منهجاً نفسياً للمسامحة :

1 - المسامحة المطلوبة :

أ- الخطأ : يبدر الإبن ماله بعيشه حالة من الفسق. حين نرغب بطلب المسامحة، نعرف جيداً لماذا نطلبها. يجب أن نتحلّى بالشجاعة للإعتراف بخطئنا أو بالجرح الذي تسببنا به للآخر، أي أن نقبل به ونعبر عنه. الاعتراف وتحديد الأحداث التي أدت بكم إلى هذا الوضع، هي خطوات جوهرية.

ب- العوامل التي دفعت الإبن إلى الندامة : القحط، رعاية الخنازير، الجوع. بالتأكيد، إنّ اليأس المادي هو الذي قاد الإبن الشاطر إلى التفكير بالعودة إلى أبيه ؛ يمكن للبعض أن يظنوا أنّها خطوة ذات منفعة. لكن " اليأس النفسي " الذي يمكننا أن نشعر به بين الزوجين أو في العائلة، إذا صحّ القول، هو أيضاً ذو منفعة. نريد استرجاع حب، أو فرح ضائع أو إنتظار محطّم، نريد استعادة علاقة، نعتبر أن علينا دفع ثمنها. مهما كانت دوافع الندم، فهي مصدر ألم، لكن أيضاً رغبة بالتجدد.

ج- الندم : " هو داخليّ بذاته ... " الندم هو شعور يولد في عمق أعماق القلب. علينا الدخول إلى عمق أعماقنا لنشعر به، بالإضافة إلى إيجاد الكلمات التي تلمس الشخص الذي نتوجّه إليه. الاعتراف الضمني بخطئنا، ليس بالخطوة السهلة؛ نجد لنفسنا أذكاراً بسهولة : " لو لم يكن زوجي هكذا، لو لم تتصرّف زوجتي هكذا " إلخ. أوّل ردّة فعل لا إرادية، غالباً ما تكون باعتبار خطأي نتيجة لتصرّف الآخر. بين الزوجين، هناك لا محالة تفاعلاً في التصرفات، لدرجة أنّه، ما عدا في حال حصول خطأ جسيم، يمكننا دائماً أن نجد أذكاراً مقبولة نوعاً ما. في سفر التكوين، يرمي آدم خطيئته على حواء : " المرأة التي أعطيتني ... إنها الأفعى... " وهو يعتبر نفسه منزّهاً عن الخطأ.

الإعتراف بالخطأ، دون البحث وإيجاد أذكار في تصرّف الآخر، هو مرحلة أولى، غالباً ما تكون صعبة. بين زوجين متحابين، هذا الإعتراف الصادق يؤدّي إلى الندامة الداخليّة : " ما كان يجب عليّ أن أفعل هذا أبداً "، " ما كان يجب عليّ أن أقول هذا الكلام ". ندامة غير مُعبّر عنها تؤدّي، بطريقة أصعب، إلى السلام في القلوب وتسوية العلاقة.

د- الرغبة في المسامحة : " أريد أن أمضي إلى أبي "، قال الإبن الشاطر. هذه الـ "أريد" هي الشرط الضروري، لكن ليست " أريد ... شرط أن... تتغيّر ". بل إنّها " أريد ... شرط أن أتغيّر "، بدون شرط مسبق. وهذا لا يمنع فيما بعد القيام بتوضيح الأمور، حين تصبح الظروف النفسية أكثر ملاءمة. المسامحة هي فعل ضروريّ لتصحيح علاقة مجروحة ؛ تتطلب مجهوداً مهماً يتخطى الكبرياء، حبّ الذات، الرغبة في تبرير النفس وأن أكون على صواب. لكنّها تفرض خاصة رغبة بتغيير شيء ما في حياتنا أو في تصرفاتنا حتى لا يصدر عن الأسباب ذاتها النتائج ذاتها.

هـ - التواضع : " لا أستحق أن ادعى لك ابناً ". التواضع أمر ضروري دائماً : " خطئْتُ إلى السماء وإليك ". إذا غيرنا الموقف يمكننا أن نقول : " لقد جرحتك، وسببت لك الأذى، وأهنتك " إلخ. عبارات يصعب دائماً لفظها، لكن لا بدّ منها إذا أردنا أن نطلب ونتلقى المسامحة من الآخر (أو من أيّ شخص قد نجرحه). الإعتراف بالخطأ، أو بالأخطاء، مجاهرة، ليس بالأمر السهل. لا يمكن أن يحصل هذا الأمر في أيّ إطار كان، وفي أي وقت كان. يجب أن نتريّث في اختيار المكان والوقت المناسب، وهذا يتطلب التمييز، لأنّه ليست كلّ لحظة حميمة هي بالضرورة وقت يمكننا أن نشوشه من أجل فعل صراحة. في كلّ فعل مسامحة، نريد أن نلقاه، هذه المراحل الخمسة هي ضرورية.

2 - المسامحة المُعطاة :

لا يكفي طلب المسامحة. يجب أن يقبل الآخر منحها. في مثله، يعطينا يسوع المنهج (النفسي) للمسامحة الممنوحة.

أ- " وكان لم يزل بعيداً إذ رآه أبوه، فأشفق عليه ؛ وأسرع إليه فألقى بنفسه على عنقه شوقبته طويلاً ". الأمر الرائع في موقف هذا الأب، هو أنه فهم منذ وقت طويل أنّ ابنه سيعود يوماً ويطلب منه السماح. يعرف أنّ الحبّ هو دائماً أقوى من كلّ شيء، وأنّ علاقة بهذه القوّة بين الأب وابنه، لا يمكنها أن تنقطع نهائيّاً. يعرف الأبناء، أنه يمكنهم أن يفعلوا كلّ شيء أو يقولوا كلّ شيء إلى والديهم، وأن والديهم سيسامحهم دائماً. لكن كان الأب يدرك بسهولة أن هذه العودة ستكون صعبة، مُهينة، ولن يجد ابنه الكلمات المناسبة للتعبير عن الأمر، ولن يعرف كيف يتصرّف. فلن يدعه يرتكب عبارات صعبة، ولا بتصرفات خرقاء. فأشفق عليه، بصمت، فألقى بنفسه على عنقه وقبّله برقة، دون أن يلفظ كلمة واحدة.

بين الزوجين، حيث يجب أن تُمنح المسامحة، التصرّف ذاته مُقترَح : أن نشفق على الذي نشعر أنه يتحلّى بمنتهى التواضع، علينا أن لا ندعه يرتكب ويضيع في اعترافات صعبة، بل نضمّه بذراعينا بدون كلام أو شروط. أن نضع أنفسنا مكان الآخر، هي خطوة تتطلب الكثير من التفهّم والجهد، لكن النتائج، تكون دائماً إيجابية وتعطي قيمة للآخر.

يحصل توضيح الأمور فيما بعد، حين تهدأ القلوب. هذا ليس هروباً، ببساطة إنّها مسألة حكمة. هنا تعطينا الصلاة، التي تستدعي نعم سرّ الزواج، القوّة اللازمة. "إنّ هذا السرّ لعظيم" يقول القديس بولس، ولم ننته أبداً من تقدير طاقته، ومن أن ننهل من نبع الحبّ اللامتناهي هذا.

ب- " إبنّي كان ميتاً فعاش "

تسمح المسامحة بالعودة إلى حياة جديدة. كان هناك شيئاً قد مات بين الزوجين، في العلاقة بين الرجل والمرأة (حتى يمكن أن يكون أمراً دام مدة طويلة) وها إنّ مسامحة الآخر تسمح بالعودة إلى حياة مُتجدّدة، إلى سكينّة، إلى نوع من الفرحة المُستعاد.

يُقام عيد من أجل الإحتفال بعودة الإبن. ذبح الأب العجل المسنّن، وعبر عن فرحه بحسب تقاليد عصره. لكن كلّ زوج من الأزواج يجيد كيف يقيم عيداً للإحتفال بتجديد الحبّ.

يدلنا يسوع على درب المسامحة. لكن في الحياة، الأمر ليس بهذه البساطة. كم من مرّة سمعنا هذه العبارة : " هذا لا أستطيع أن أسامح عليه أبداً ". ليس هناك من مسامحات مستحيلة بالمطلق، لكن هناك مسامحات تتطلّب الوقت، وتؤلّم. في الحالات الجسيمة، لا يمكن لأحد الزوجين أن يجد القدرة على المسامحة، إلّا من خلال الصلاة : " أنا لا أستطيع، لكن أنت يا ربّ، تستطيع من أجلي. ضع في نفسي القدرة على المسامحة ".

يتطلّب الأمر أحياناً عملاً جدياً، كلّ على ذاته، مسيرة علينا المضي فيها، عملية تطوّر لا يمكنها أن تحدث على الفور. لكن الرغبة بالمسامحة، يمكن أن يُعبّر عنها ببعض الإهتمام، ببعض التصرفات، والأقوال، ببعض الرقة التي يمكن أن يفهمها الآخر. إنّ لغات الحبّ متعدّدة وأحياناً صامتة، لكن الزوجين اللذين يرغبان بإعادة بناء نفسيهما لا بدّ من أن يفهما هذه اللغات، مثل ربيع يتأخّر في المجيء، لكن إشاراته غير المُعلنة يمكن أن تكون محسوسة.

٣- حياة الزوجين في الله

هناك ملاحظتان عن المسامحة.

١- المسامحة هي فعل إيمان، وليست أولاً، إحساس مرهف.

إذا انتظرنا حتى يهدأ إحساسنا المرهف، سوف ننتظر طويلاً. لا، إنها أولاً فعل إيمان : إيمان بالآخر، لأننا مقتنعون أنه أبعد من الخطأ الذي ارتكبت، لدى الآخر ثروة من الحب في قلبه. نسامح الآخر مجاناً، لأنها هي، لأنه هو. يمكن أن يأتي السلام فيما بعد. المسامحة هي فعل إيمان، فعل إيمان بالله (هذا أمر لا يمكن فصله، بالنسبة إلى المسيحي، عن الثقة في مسامحة الآخر). إن مسامحاتنا المتبادلة، ليست دائماً كاملة، نشعر أنه يمكن أن يشوبها بعض مشاعر المرارة أو الظلم. لذا فعل الإيمان يتطلب أن نضع مسامحتنا في مغفرة الله : فالله قادر على أن ينهي، يُكمل، وينعش مسامحتنا، ومصالحتنا. هذا الأمر نعيشه في سرّ المصالحة أو في الصلاة. على الإيمان ومسامحتنا في قلب مغفرة الله، أن يقودنا حياتنا وليس تقلبات إحساسنا المرهف، التي هي طبيعياً في النهاية. يجد هذا الإحساس المرهف هدوءه، حين يكون مُوجَّهاً بالمسامحة.

٢ - إدارة ذاكرتنا

المسامحة ليست "النسيان". نعرف هذا. لكن ما العمل مع الذاكرة ؟ كلمة، عطر، صورة، وكلّ شيء يعود إلى ذاكرتنا، يستيقظ شعورنا المرهف و ننتقل من جديد ! " : نعود ونعيش من جديد أوقات خلافات الأوس التي تعود إلى عشرين سنة خلت ! نصرخ : " لم أسامح ! " كل شيء جاهز حتى تصبح الوحدة المُستعادة عطوبية من جديد. ما العمل ؟ لدينا أربعة مراحل.

- أن نقول لأنفسنا أن هذا أمر طبيعي : الذاكرة تقوم بعملها. تعيد إلينا كلّ أنواع الأمور الجسيمة، الصعبة أو المفرحة. يجب أن نعلم بها. المسألة تتعلق بإدارة الذاكرة. ماذا عليّ أن أفعل حين يحصل هذا الأمر؟ أتحمّلها أو أنظّم ذاكرتي ؟ هذا مطروح بحسب حريتنا.

- ما العمل؟ نتذكّر المسامحة. حين تعود الذكرى، ردّوا عليها بهذا الشكل : " أجل، حدث هذا الأمر أمس أو منذ عشرين عاماً، لكنني سامحت والآخر سامحني ". انتقلت إلينا رحمة الله. علينا أن نردّ على ذاكرتنا، وعلى كلّ ما نشعر به والقادر على أن يُغضبنا من جديد، أو يجعلنا نتشاجر من جديد : " لا، المسامحة قد مُنحت ! لا أريد العودة إلى الوراء ". أحياناً تعيد إلينا ذاكرتنا الشجار وننسى المسامحة. ما هو الأهمّ : الشجار الذي يمكن أن يقود إلى الكارثة أو المسامحة التي تقودنا إلى الحياة، إلى حبّ أقوى من ذي قبل ؟ يلخص Soren Kierkegaard كلّ شيء بهذه العبارة الجليّة : " من أجل نسيان الماضي، تذكّر المسامحة ".

- الشكر. كيف لا نفرح مثل الأب الذي في المثل ؟ الآن وقت الحرية، بعد دقائق، ساعات أو سنوات من الصعوبات. اشكروا الله.

- الأخذ بالثأر ! أي إعلان الحبّ لأنّ الحب هو الذي كان ناقصاً. تسوية الأمور هي الرغبة الفوريّة للذي جرح الآخر. التسوية، إنّه دائماً الحبّ الذي يتجلّى بتصرفات، وكلمات، وبالصمت أيضاً.

هذه المراحل الأربعة، يستغرق التفكير بها ثابنتين، ما عدا الأخيرة، التي تتطلب أحياناً أن نذهب لإحضار الأزهار... المسامحة ليست النسيان. لكن عليّ تنظيم ذاكرتي. هذا الأمر منوط بحريتنا، بقرارنا وبارادتنا. هذا الجهد، إذا ما كرّرناه كلّما دعت الحاجة، يقود كلّ واحد منّا إلى سلام إحساسنا المرهف، والذكريات تنتقي تدريجياً من كلّ ما يمكن أن يؤدي أو يُضعف : نتذكّر، لكن الذاكرة قد فرغت من العدائية وامتلات من المسامحة.

أسئلة لواجب المجالسة

▪ ماذا يعني أن نكون مسؤولين عن الآخر في حياتنا الزوجية، والعائلية وفي المجتمع؟

- أكثر تصرّف مسيء من قبّل شريكي يجرحني، إلى مدى أنا مستعدّ لمسامحته؟
- بشأن الجروحات التي أسببها لشريكي، متى أكون قادرًا على طلب المسامحة؟
- في كتاب " غاري تشابمن "، " لغات الحبّ الخمس "، (الكلمات التي تعطي قيمة، الأوقات النوعيّة، الهدايا، الخدمات المُقدّمة، واللمس الجسدي) أي من هذه اللغات تجعلنا نتصالح؟
- ما هي الشروط التي تجعل من مسامحاتنا أفعال إيمان؟

أسئلة لإجتماع الفرقة

- هل كلّ المسامحات مُمكنة بين الزوجين؟ وبأيّة شروط؟
- في مجتمعنا الحاليّ، أحيانًا يكون الطلاق (بطلان الزواج) الوسيلة الأكثر استخدامًا لحلّ الخلافات وتجنّب المسامحات. كيف يجد زوجان مسيحيان في سرّ الزواج القوة للتصرّف؟ كيف علينا أن نحدّد مكاننا؟
- كيف نظهر لأولادنا غنى المسامحة؟
- كيف ننظم، في المسيح، المسامحات في ذاكرتنا؟

الفصل السابع

مثل حبة الحنطة التي تموت لتعطي ثمارًا كثيرة يوحنا ١٢ / ٢٤ - ٢٦ - تحويل المحنة إلى درب نور

الحقَّ الحقَّ أقول لكم، إنَّ كانت الحبة من الحنطة لا تقع في الأرض وتموت، تبقى وحدها. وإذا ماتت، أخرجت حبةً كثيرًا. من أحبَّ نفسه خسرها، ومن أنكر نفسه في هذا العالم، حفظها للحياة الأبدية. من أراد أن يخدمني، فليتبني، وحيث أكون أنا يكون خادمي، ومن خدمني أكرمه أبي.

١ - عرض المثل

بكلمات قليلة، أوجز يسوع حياته وأعطاه معنىً. يتحدث بصفته المعلم الذي، في كلِّ فرصة، حتى ولو كانت خطيرة، يعلم تلاميذه، الذي يسميهم هنا "خدامًا". يشير يسوع في هذا المثل إلى موته، وحتى إلى قيامته. يفتح لنا الآفاق ذاتها.

يقارن يسوع نفسه بحبة الحنطة، كما قارن نفسه في مكان آخر من الإنجيل بالكرمة. نعرف هذا، إنَّ موت حبة الحنطة يسمح لها بأن تكون خصبة. وإلا فالحبة تكون عقيمة. التناقض هنا هو التالي : الموت، هو عطاء الذات الكلي، هو الثمن المحتم دفعه من أجل إعطاء الحياة. بموته، سيعطي يسوع الحياة للعالم.

يقارننا يسوع أيضًا بحبة الحنطة هذه، المُقدَّر لها أن تموت لتحيي (" إنَّ لم تمت حبة الحنطة ... ") من أنكر نفسه ... (") . تظهر الحياة هنا هائلة، حياة أبدية، حياة مُستقرّة يمكننا "حفظها". حياة مع الأب الذي يعيد إلينا كرامتنا : سوف " يكرمنا". السبيل : إتباع يسوع، المرور بالصليب، بالموت لنقود الآخرين نحو الحياة مع الله، المشاركة بعطيّة المسيح من أجل خلاص العالم. تكمن المفارقة في العبور من الموت إلى الحياة. إنها طريق حب.

٢ - حياة الزوجين

التخلي، القبول من أجل النمو

ليس من السهل أن نسمع أنه علينا أن نموت حتى نعطي ثمارًا. لا نفهم، حتى أن هذا الأمر مُكدر. هل علينا حقاً أن نموت حتى نحمل ثمارًا جيدة؟ لكن نموت عن ماذا؟

كلّ الذين شاهدوا حقل قمح قبل الحصاد، مطمور بالثلوج ويبدو مجمدًا، كالميت، يعرفون جيدًا أنّ هذه المرحلة هي ضرورية حتى، بعد عدّة أشهر، يمكن للسنابل أن تنمو بشكل رائع قبل الحصاد. وحياتنا تسير بهذا الشكل : على المحن التي لا مفرّ منها، والتي نمرّ بها، أن تجعلنا نكبر - وهي تُكبرنا - حتى ولو أنّها تُصعقنا في الوهلة الأولى.

نعيش كلنا هذا الأمر بطريقة أو بأخرى في حياتنا اليومية دون أن ندرك : أيّ زوجين، في وقت معيّن من حياتهما، لا يمرّان بمرحلة من " الإضطراب " طويلة أو صعبة نسبيًا ؟ أيّ زوجين لا يعيشان في وقت من الأوقات، جوّاً من سوء التفاهم المتبادل، من المناقشات العاصفة، من تبادل كلمات تسبّب الألم للإثنين أو صمت

ثقيل، يخلق جوًا من عدم التفاهم و سوء الفهم ؟ من ممًا لم يقل لنفسه يومًا : " في أيّ وضع سنخرج من هذا بما أننا لم نعد نفهم بعضنا، بما أننا لم نعد نحب بعضنا، على الأقل كما في الماضي ؟"

الإرادة بإعادة البناء

للخروج من هذا الوضع، هناك بالتأكيد وسائل بشرية، نعرفها كلنا، لكن ولا أية وسيلة بشرية يمكنها أن تساعدنا، إذا لم يكن هناك منذ البداية، إرادة قويّة لدى الإثنين بإعادة بناء شيء ما، يكون أفضل من السابق. من أين تأتي بهذه الإرادة لإعادة البناء، حين يبدو أنّ كلّ شيء قد ضاع ؟ في تعليم يسوع : " إذا ماتت حبة الحنطة أعطت ثمرةً جيّداً ". بالتطلّع إلى الطبيعة، نرى على الشجرة، التي كسرت الريح غصنًا منها، أنّ فرعًا قد نما في مكان آخر، واستعاد الحياة وزهر. حتى لو انقطع جذعُ بالكامل، هناك دائمًا تقريبًا فروعًا، تنبت بعد وقت قليل وتعيش من جديد، أكثر اخضرارًا، وريعانًا، كلّها حياة وقوة. يمكن أن يبدو هذا للأول وهلة مُبسّطًا، ومع ذلك هذه صورة ثنائي يمرّ بأزمة. الأزمة هي نوع من المرض، يلزمها أدوية. الدواء الأول هو إرادة الإثنين بالشفاء، بالخروج من الأزمة، مما يتطلّب بالضرورة تضحيات، تخلّي، وأعمال إرادية. هذا هو الموت عن الذات.

حين يحقق يسوع شفاءً، السؤال الأول الذي يُوجّهه هو : " هل تريد أن تشفى ؟ " كلّ واحدٍ يعلم أنّ الأمر يتطلّب وقتًا، ومجهودًا. لفترة من الزمن، يجب قبول الشعور بعدم الشفاء أو حتى بالموت، ثمّ ذات يوم، نرغب بأن نولد من جديد، أن نبنى من جديد، أن نهتمّ الحواجز التي جعلت القلوب مشلولة. حين نخرج من نفق طويل، نقدر بشكل أفضل النور والهواء النقي. الثنائي الذي يجتاز أزمة طويلة وثقيلة، يمكن أن يخرج منها محطّمًا، لكن أيضًا، ناضجًا وأقوى، وأكثر تأثرًا بالآلاف إشارات الحبّ الصغيرة، أكثر تصميمًا على التوجّه نحو الآخرين وفي النهاية أكثر فرحًا على الصعيد الإنساني. يكون في وضع يسمح له بإعطاء ثمار طيبة.

" إذا ماتت حبة الحنطة، أعطت ثمارًا كثيرة ". إذا ما تمتّع ذات يوم، رجل وامرأة بالشجاعة ليجلسا وجهًا لوجه، وليتسألا بكلّ صدق : " ما هو دوري الآن في حياتي الزوجية ؟ في عائلتي ؟ وكيف يمكننا أن نرغب بحمل ثمار طيبة ؟"، يكونان ثنائيًا قد خرجا ناضجين من مرحلة صعبة اجتازاها. بالتأكيد، لا تؤدي كلّ أزمة إلى نموّ الزوجين، وخاصة إذا كانت مؤلمة كثيرًا. لكن كلّ شخص يرغب بالخروج منها، يستعيد الإرادة بعيش حياة جديدة، وطرق جديدة بالتفكير والتصرّف.

تحويل المحنة

للأسف، إنّ مَحَنَ الأزواج ليست المَحَنَ الوحيدة في الحياة. نمرّ جميعاً بأوقات كثيرة أخرى صعبة في حياتنا، نشعر فيها وكأننا أمواتاً. المحنة الكبرى المُتَعَدَّرُ الشفاء منها في الحياة، هي موت من هم أعزاء على قلوبنا. إنّها ضربة قوية على الرأس، نعتقد أنّه لا يمكننا الشفاء منها أبداً. ثمّ ذات يوم، ندرك أننا نقول: " كان أبي أو أمي يقولان هذا الكلام، أريد أن أستمر في هذا الخط لأكون أميناً لذكراهما. أخذت هذه القيمة من أحد ما من عائلتي، كان شخصاً عظيماً. لا أريد أن أنساها وأريد نقلها إلى أولادي ". إلخ. وبدل من أن نكون في الحداد والمعاناة التي تنهك، نرفع رأسنا، ونعيد إلى الحياة، في عيش يوميّ ومُتجدّد، ما زرعه ذاك أو تلك الذي فارقتنا أو التي فارقتنا.

رؤية ما زرع يكون هذا الأمر أكثر صدقاً عند وفاة أحد الشريكين: لطالما زرع الكثير في حياتنا اليومية والآن بما أنّه لم يعد موجوداً، يصبح واجب علينا أن نجعل القيم التي حملناها سوية طوال حياتنا الزوجية، تزهّر من جديد في الأجيال الشابة. إلا في حالات استثنائية، ليس هناك من أحد لا يترك عند رحيله، شيئاً جميلاً كان في حياته. نلاحظ هذا أثناء التحضير للجنائز، حين نسأل العائلة: " هل ستدفنون والدكم غداً؟ ماذا فعل في حياته؟ ما كان الأمر الذي يهّمه في حياته؟ سنتحدّث عن الأمر غداً أثناء مراسم الدفن، حتى يتمكنّ الذين كانوا يحبونه، من جعله يزهر من جديد ". والعائلة والأولاد والأحفاد يفكّرون: " أجل، ذات يوم فعل هذا الأمر، وكان جميلاً. وذات يوم قال هذه العبارة "، يتذكّرون ويجعلونه يحيا من جديد، وهذا سيستخدم كمثال في ظروف أخرى.

من هو ذاك أو تلك من بيننا الذين لديهم أولاداً، لم يقولوا يوماً: " هذه القيمة أريد نقلها إلى أولادي. أريدهم أن يتذكّروا، من بعدي، هذا الأمر الذي كان يهمني كثيراً ". لماذا؟ لأنّ لدينا الرغبة الكبرى، بأن يبقى شيئاً إيجابياً من بعدنا، شيئاً يساعد الذين يأتون بعدنا على النمو، يكون شهادة، ليس لنفتخر بأنفسنا، بل للإضاءة على القيم التي وُجّهت حياتنا. من الممكن أن نجعل من موت الذين أحببناهم أمراً إيجابياً، وذلك بالتساؤل عمّا زرع في داخلنا، ويجب علينا الإستمرار بجعله يثمر، في مكان آخر وبطريقة أخرى. ما تُرك لنا، يجب أن يجعلنا نكبر وبمنعنا من أن نتحطّم. إنّها الطريقة الوحيدة تقريباً، التي تساعدنا على تخطي هذه المحنة التي يواجهها كلّ واحد منّا، بطريقة أو بأخرى، مرّات عدّة في حياتنا. هذا لا يحوّ الحزن، لكنّه يسمح لنا بالبقاء واقفين وذلك بروئيتنا أنّ الذي نبكيه أو التي نبكيها، ما زال يحمل ثماراً.

اختيار العيش

حتى لو كان هذا المثل يستجوبنا بشكل خاص، حول الموت الجسديّ، لكن هناك أزمت كثيرة صغيرة في حياتنا، نسميها " مينات صغيرة " أو " أزمت "؛ ليس سهلاً عيشها كلّها. مرّة جديدة يعطينا يسوع محوراً للحياة: " إذا ماتت حبة الحنطة، أعطت ثماراً كثيرة ".

على سبيل المثال: مشكلة صحيّة خطيرة، تحرم شخصاً من قواه الجسدية، من استقلاليتته، من حياته في البيت، فهذه مرحلة معاناة؛ يُخَيَّلُ إلينا أنّ كلّ فرح الحياة قد انطفأ ومات. ومع ذلك، كم من مرضى مُقَيَّدِينَ في سريرهم أو في مقعدهم، لكنّهم شهود يشعرون من حياة المسيح في داخلهم!

حين يترك الأولاد المنزل ليستقلّوا في حياتهم، يبقى الزوجان وجهاً لوجه لوحدهما، يكون هذا الأمر في أغلب الأحيان أزمة يصعب تخطيها، إذا لم نحمل المشكلة معاً، لنبني من جديد سوية حياة جديدة. الإنطلاق من جديد باتجاه آخر مختلف، في سبيل إيجاد عطاء ذات آخر، ومستقبل آخر بمعطيات جديدة، هو السبيل الوحيد للنمو بالرغم من المعاناة التي لا يمكن تجنبها.

لا يمكننا العيش والتفكير باستمرار بمأساتنا. Boris Cyrulnik، بعد ان أدرك كم من ولد يهودي عانى من ويلات الترحيل، في مخيمات الإعتقال النازية، والإنفصال عن أهله، جعل عبارة " رجوعية " (قدرة الجسم على تحمّل الضغط) مطابقة لذوق العصر. هؤلاء الأولاد الذين اجتازوا في طفولتهم، أسوأ الألام، عرفوا كيف يرفعون رؤوسهم، ينشرحون ويعيدون بناء حياة جديدة، وبناء عائلة ويخرجون ناضجين من مَحَنٍ بهذا القدر.

" لو لم تمت حبة الحنطة ... "

يمكن أن يصدمننا عنف عبارة يسوع : " من أنكر نفسه ... " ربّما علينا توسيع معناها لفهمها أكثر. مع أنّه يحدّد " الحياة في هذا العالم " يعني في رتبة الحياة اليومية، الحياة المُركّزة على الأنا، على مشاكلي الصغيرة، على أنانيتي، الحياة بدون آفاق واسعة. هو الذي أعطى رُسله كتعليمات " سيروا في العمق "، هو الذي أعطى حياته على الصليب من أجل البشر، هو الذي قام من بين الأموات، يدعونا لنتبعه على الدرب ذاته: " اختاروا الحياة " الحقيقية، تلك التي تحمل ثمارًا، والتي لا تجعلنا ننغلق على مشاكلنا اليومية، التي تسمح لنا بعبء كليّ للذات بسخاء ووفرة. تلك التي لا تجعلنا نحفظ لأنفسنا ببعض المكتسبات الصغيرة، التي تغلق الأشخاص الذين نحبهم، الحياة التي " يحفظها للحياة الأبدية ".

٣- حياة الزوجين في الله

مشاركون في عطية الله

" ما نفع هذا ؟" هذا السؤال غالبًا ما يأتي على شفاه الذين يتألّمون في أجسادهم أو في نفوسهم. " على الأقل، ليكون هذا مفيدًا في شيء ما !" هذا السؤال مؤثر خاصة إذا صدر عن شخص نحبه ! يتكلّم يسوع عن تجربته : " إذا كانت حبة الحنطة لم تقع في الأرض وتموت، تبقى وحدها، وإذا ماتت أخرجت حبًا كثيرًا ".

مات يسوع من أجل خلاص العالم، قام من بين الأموات وتحقق خلاص العالم. لكن لا يكفي أن يخلصنا الله. بالتأكيد كان بإمكانه أن يعطينا كلّ شيء ببساطة. يريد المزيد. يريد أن يُشركنا في عطية ذاته التي يقدمها من أجل خلاص الجميع. ابن الله صار إنسانًا، والإنسان الذي يحيا من حياته، يمكنه بدوره أن يعطي ذاته من أجل الجميع. نحن مشاركون بعطية الله ذاته من أجل كلّ البشرية.

نغنم " الفرصة ... "

بحدّ ذاته، ليس الألم سوى أمرًا سلبيًا. لا نبحث عن المَحَن، لكنّها تأتي. الأمر منوط بحريتنا أن نغنم "الفرصة " (هذه هي الكلمة المهمّة) في هذه الصعوبات التي تعترض حياتنا، لننتفح على الآخرين، لنجعل مكانًا في قلبنا لمزيد من الطيبة، من الرحمة، من الإنتباه إلى الغير... بالطبع، تكون بعض التجارب ثقيلة لدرجة تجعلنا نتوقع على ذاتنا، هذا أمر لا مفرّ منه. لكن يبقى دائمًا أن نضع هذا الألم في قلب تقدمة المسيح على الصليب ؛ يمكننا دائمًا أن ننظر إلى الصليب ونقول للمسيح : " أنا لا أفهم شيئًا، لكنك أنت تعرف ". أجل، يمكن لكلّ صعوبة أن تكون فرصة لنستسلم للربّ، ومعنا نقدّم، من أجل خير الآخرين، الحمل الثقيل الذي على كاهلنا. الأفق واسع للغاية ؛ نعيش من أجل الآخرين، من أجل أقربائنا، من أجل معارفنا... نعيش أيضًا من أجل الذين يريدنا الربّ أن نرتبط بهم ! في السماء، سوف نكتشف أننا قد صمدنا وقت العاصفة، بفضل التقدمة المتواضعة والبسيطة من قِبَل شخص يعيش بعيدًا عنا، ولا نعرفه، ربما في قارة أخرى. الله يصنع رباط النعمة. كم من الإخوة والأخوات بالإنسانية، نساعدهم أيضًا بوضع أنفسنا ببساطة بين يديّ الله. والله يضاعف كلّ شيء بالنعمة.

نحمل الثمار

أن نحمل الثمار، هذا صحيح أيضاً بشكل ملموس بالنسبة إلينا. إننا نتعلم الحياة. مع هذا علينا أن نكون واضحين : بحدّ ذاتها، الصعوبات والآلام هي أمور سلبية. الحبّ الذي نضعه لنخرج منها هو الذي يجعلها إيجابية. كذلك، في ترتيب مختلف، إنّ تجربة الخطيئة لاتزيد وضعنا البشري ثقافة، كما يقول البعض. ما يجعلنا ننضج، هي تجربة الرحمة. الخلاف بين الزوجين لا يعطي ثماراً طيبة. لكنّ المصالحة، تفعل. تنشر المسامحة كلّ طاقاتنا. الموت يبقى الموت. الله يعطي الحياة فوق كلّ شيء ! الثمار تُعطى من هذا الحبّ الذي هو أقوى من الموت.

أن نحمل الثمار. من المدهش أن نرى غالباً، أولئك الذين مروا بصعوبات وبعواصف، يجذبون. كذلك الذين قاموا من خطيئتهم. إن تجربتهم هذه مؤثرة. مع العلم أن شيئاً لم يُقال، ولم يتمّ إفشاء أي اعتراف. لكن الآخرون يشعرون بهذا الأمر : " يمكننا أن نتكلم إلى هذين الزوجين، سيفهمان ! " هناك فتحة قد أحدثت : أن نعرف أننا محبوبون من قبل الله ... كلّ هذا يصبح خصباً. لن يكون هناك حاجة ابداً للقول : " أنا أيضاً مررت بتجربة ... " لأنّ ما ينتظره الآخر هو أن يكون مسموعاً، ومستقبلاً. نرى إذاً الثمار التي نحملها، نرى أنّ الله قد أشركنا فعلياً معه من أجل عمله الخلاصيّ. كما يقول يسوع : " من خدمني، أكرمه أبي " .

أسئلة لواجب المجالسة

- "إذا ماتت حبة الحنطة ... " في المحنة ما الذي يجب أن "يموت" فينا وفي تصرفاتنا، حتى تنبتق حياة جديدة ؟ ما الأمر الذي نحمله من الماضي الذي يثقل كاهلنا ويشلّ حركتنا ؟
- في سياق مراحل حياتنا (سن الأربعين، رحيل الأولاد، العمر الثالث، العمر الرابع، تجارب الحياة ...) أين هي إرادتنا في إعادة البناء دائماً ؟ في تغيير أنفسنا ؟
- إنطلاقاً من التجارب المُعاشة، ما هي الثمار الجيدة التي يمكننا إعطاؤها ؟

أسئلة لإجتماع الفرقة

- كيف يفهم كلّ واحد منّا مثل حبة الحنطة التي تموت هذا؟
- ما هي الوسائل التي تسمح بتحويل تجربة ؟ ماذا يعني لنا " إغتنام الفرصة ... " ؟
- على ماذا تضيء رسالة القيامة في أمر الخروج من كلّ أزمة ؟

الفصل الثامن

مثل ملح الأرض ونور العالم متى ٥ / ١٣ - ١٦ - نقل ما تلقيناه

«أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فيماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس.

أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات.

١ - عرض المثل

نجد هنا تعليمين من تعاليم يسوع، عن كرامة ومسؤولية التلاميذ.

الملح. كالحكيم، يعرف التلميذ كيف يعطي معنى لكل ما يحصل. إذ إنَّ حكمة الله ورغبته تسكنه، فيعطي طعاماً لكل شيء وللكل. التلميذ جدير بالإحترام. يجب إذاً الحرص على التأمل والصلاة ... حتى نتمكن من أن ننقل للآخرين طعم الحب والحقيقية.

النور. للتلاميذ مسؤولية حيال الآخرين، بكلامهم ومثالهم. ليس فقط بالنسبة إلى المحيطين بهم بل خدمة لكل العالم. وسَّع يسوع نطاق مهمتنا وفقاً لعظم مهمته الخاصة : إنه مخلص العالم. علينا إذاً أن لا نُضيِّق أفقنا! كل ما نعيشه يمكن أن يُعاش في المسيح، الذي هو مصدر حياة كل البشر.

٢ - حياة الزوجين

أن نكون ملح الأرض

كيف يمكن لزوجين أن يكونا " ملح الأرض "؟

الملح هو الذي يُعطي نكهة للطعام. الطبق، حتى لو كان من أشهى الأطباق، إذا لم يكن مُملحاً، يبقى لا طعم له، ولا يُحرِّك الشهية. هكذا هي حياتنا. إذا كان المسيحي لا طعم له، متشائماً، منغلقاً على ذاته، لا يوحى لا بالجابية ولا بالفرح، اللذين يعطينا إياهما إنتماؤنا إلى المسيح. نحن مسؤولون عن الصورة التي نظهرها حولنا، لأنه في عالم حيث أن الله هو الغائب الأكبر، يمكنه أن يكشف عن ذاته إلى الآخرين بواسطتنا، بأيدينا، بركاتنا وبتصرفاتنا.

الله محبة. يمكنه بالمحبة أن يكشف ذاته إلى العالم الذي يحيط بنا، حيث الله غائب. لا يمكن لأحد أن يتصور محبة الله للبشر. هذا الحب لا يمكن أن ينقله إلا الذين امتلأوا من محبة الله، أي نحن المسيحيون. هذا فرحنا، هذه كرامتنا وهذه رسالتنا.

العائلة هي المكان المميّز لعيش الحبّ : مكان فريد في مجتمعنا حيث أنّ أزواجًا، أهلاً وأولادًا، يعيشون في حياتهم اليومية الحبّ المتبادل، الإهتمام الواحد تجاه الآخر، الفلق على مستقبل كلّ واحد، تحمّل مسؤولية الآخرين على كلّ الأصعدة، إلخ. هذا المكان المميّز للحبّ، لا يمكنه أن يولّد وأن يوجد إلا، لأنّ ذات يوم، رجل وامرأة قد التزما أمام الله والناس على أن يتحابا إلى الأبد وأن يعطيا الحياة لأولاد. معًا، أخذًا على عاتقهما مسؤولية أن يجعلوا أولادهما يكبروا في الحبّ، حتى يصبحوا بدورهم، ذات يوم، قادرين على أن يعطوا لغيرهم ما تلقوه.

الزوجان المتحابان، المنفتحان على الآخرين باستقبالهما وإصغائهما، يشعّان الحبّ من حولهما، يكونان شهادة. يكونان " ملح الأرض " أيّ اللذان يعطيان نكهة طيّبة إلى حياة الذين يحيطون بهما. في الطليعة، كلّ إلى شريكه، إلى أولادهما وعائلتهما، لكن أيضًا إلى كلّ الذين وُضِعوا على طريقهما : في حياتهما المهنية، أو جيرانهما، إلخ.

يكون الملح غير مرئيًا عندما يعطي نكهة للطعام. إنّه مخفيّ في الطعام، حتى إنّه يتفاعل أحيانًا مع توابل أخرى بنكهات مختلفة، لكنّه هنا حاضر ومتفاعل ليعطي طعامًا لذيذًا للطعام ولليبهج الذين يتناولونه.

إنّ حبّ الزوجين والعائلة هو " ملح الأرض " في المجتمع، حيث أنّ الأنانية والمنفعة والجنس و الطلاق، كلّها تسيطر على الذهنيات. في عالم حيث أنّ أغلبية الناس يؤكّدون ويشهدون على استحالة أن يحبّ رجل وامرأة أحدهما الآخر طوال العمر، فالزوجان اللذان يعيشان بعمق سرّ زواجهما، برصانة وبالشهادة وبالفرح في آن، يصبح الحبّ " ملح الأرض " بالنسبة إلى المحيطين بهما. أكثر من أيّ وقت مضى، هذه المسؤولية أساسية.

هذا صحيح من وجهة نظر مسيحية، لكن هذا صحيح أيضًا من وجهة نظر أيّ مجتمع. إذا لم يكن الأزواج الذين يجمعهم سرّ الزواج " ملح الأرض " في العالم حيث يعيشون، فإنّ فكرة "سرّ الزواج" تكون مرفوضة أكثر فأكثر، مُتجاهلة ومنسية مع كل النتائج البشرية والنفسية الكارثية المتأتية عنها، والتي نعرفها جميعًا. "إذا فسّد الملح، فبماذا يُملّح؟ لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس". هذا تمامًا ما يحدث في المجتمع الحالي، في موقفه من الحب والزواج والعائلة. أكثر من أيّ وقت آخر، إنّ مسؤولية الأزواج كبيرة. إنهم " ملح الأرض "، لكن لا يمكنهم أن يكونوا الملح إلاّ بعون الربّ، من هنا ضرورة عيش حياة معه، حياة مبنية على التواصل مع كلمته.

أن نكون النور

كيف يمكن لزوجين ان يكونا نور العالم؟

دون شك، من الأسهل في الحياة اليومية، الحياة المهنية والحياة الإجتماعية أن يكونا " ملح الأرض " من أن يكونا " نور العالم ". " نور العالم، نحن؟ كيف لنا أن ندعي هذا الأمر؟ " ومع ذلك بانتماننا إلى المسيح، نحمل في ذواتنا، بالرغم من ضعفنا، نورًا يشع فينا، والذي لا يحق لنا أن ندعه ينطفئ أو أن لا ننقله.

نضيء لمن؟

" لا يوقدّ سراجٌ ويوضع تحت المكيال، بل على المنارة ليضيء لجميع الذين هم في البيت" هذا ما يعلمه يسوع في هذا المثل. " لجميع الذين هم في البيت " إنهم أولاً أولادنا ومحيطنا من القريبين. دون إلقاء "عِظات"، التي غالبًا ما لاتصيب الهدف أو تثير الغضب، يمكننا، بحبنا وبإشعاعنا، أن نشهد لحضور الله فينا ولعمله في كلّ

أعمال الحبّ الصادرة عنّا : الإنتباه للآخرين، المسامحة، الإصغاء، الخدمة، الوقت المُعطى، هذه كلّها ليست مواقف فطرية، بل هي مواقف تنمّ عن عطاء الذات، لا يمكن أن تكون مستوحاة إلاّ من هذا الذي هو مصدر الحبّ. من المهمّ أن يفهم أولادنا، إن كانوا صغارًا أو كبارًا، أنّ كلّ ما نفعله من أجل شريكنا، من أجلهم، من أجل الآخرين، مصدره حياتنا مع المسيح، وليس من واجب النقص، بل بفرح نكون "نور العالم" و نعطي ما تلقيناه.

أن نشع من محبة المسيح

بالتأكيد، لا يحتكر المسيحيون الحبّ. يواجهوننا أحيانًا، بأنّ هناك العديد من غير المسيحيين الذين يقومون بخدمة إخوتهم بشكل واسع. لكن كلّ حبّ مصدره الله، إن أدركنا هذا الأمر أو كنا نجهله. نعيش حاليًا في عالم، الله غير موجود فيه. يجهل الكثيرون الله كليًا، وكثيرون غيرهم يرفضونه، ومنهم من يعتقد أنّ إيماننا ليس سوى أخلاقيات عفا عليها الزمن، وطقوس إلزامية تخنقنا وتحزننا. قليلون هم الذين يفكّرون أنّ حياتنا مع المسيح هي فرح، هي حبّ مُعطى ومُستقبل، هي انفتاح العقل، ونظرة حبّ إلى العالم الذي يحيط بنا. قليلون هم الذين يعتقدون بأنّ سرّ الزواج يمكن أن يوحد رجل وامرأة ويجعلهما سعيدين مدى الحياة. إنّ حياتنا اليوميّة المُضاءة كلّ يوم بنور المسيح، ليس عليها أن تكون إلاّ إشعاعًا، رسالة فرح وحبّ. بهذا المعنى يمكن لزوجين أن يكونا "نور العالم" وأكثر من أيّ وقت مضى، عليهما أن يكونا هكذا.

إنّ الفرقة من فرق السيدة، التي يقوم فيها كلّ واحد منّا، كلّ شهر بتقييم ما عاشه، تكون بوتقة متميّزة لمساعدة كلّ واحد ليكون "ملح الأرض ونور العالم". إنه التعاون المتبادل بين الجميع لمواصلة المسيرة والسعي إلى هذا الهدف.

٣- حياة الزوجين في الله

ختامًا، إذا ما قطعنا هذا الدرب سوية على معبر المَحَن والصعاب، يمكننا في آخرها أن ننشد " هللوا " ! تحرّرتنا أخيرًا ! لكن أليس هذا قمة الظفر ؟ القديس أغسطينوس يعزينا بقوله أنّ هناك " هللوا " صادرة عن الأرض، وأخرى صادرة عن السماء. لا يجب أن نخجل كوننا نمرّ بصعوبات، هذا هو النصيب المشترك. كذلك لا يجب أن ننزعج من الخروج منها. لم تنته الدرب بعد. لكن يمكننا ببساطة أن نفرح بالسلام المُستعاد. هذه هي حقيقتنا، لا يجب التذمّر بدون فائدة.

أن نندش

هناك مرض، من عوارضه البكاء دون توقف والشكوى من كلّ شيء. نعتقد أننا خطأة إلى درجة أن المحنة ستعود لا محالة، وأن على الحزن أن يكون قاعدتنا. لا ! الصحة المسيحية تقتضي بأن نندش. نكتشف الكنز الذي أودع فينا بالمعمودية، بالأسرار وخاصة بسرّ الزواج، علينا أن نكتشف أن حياة المسيح هذه فينا، هي التي تجعلنا نبقي صامدين وقت المَحَن، كما نكتشف أن التعاون المتبادل بين الإخوة ليس مجرد كلمة. كلّ هذا عليه أن يُدهشنا. الحياة فينا. الـ " هللوا " ليست كثيرة علينا. كان القديس ألبير الكبير، الدومينيكاني، صاحب المعرفة الواسعة ومعلّم القديس تومي الأكويني، معتادًا أن يقول في السنة الأخيرة من حياته (مات عن عمر ٩١ سنة !)

: " صلوا حتى أبقى وفيًا إلى المنتهى ! " أجل، علينا أن نجاهد حتى النهاية. لكن في النهاية، الفرح هو محرّك قويّ للأمانة ويقربنا من الله.

أن نعيش الفرح

إن الفرح هو ملح الأرض. يعطي نكهة لكلّ شيء. يجعلنا نرى كلّ شيء من الجانب المُشرق. لكن الفرح يدل أيضًا على حضور الله فينا : حين يكون الزوج غائبًا لمدة طويلة، يكون مسافرًا لسنة أشهر بسبب عمله، ثم يعود، يغمر الفرح زوجته الشابّة وأولاده ! إنّه هنا ! صورة الله التي فينا. المَحَن والصعاب تجعلنا نقدرّ وجود الله، إن في الليالي الصعبة وإن في يوم خلاصنا.

الفرح يجذب. إنّه نورٌ للجميع. ليس الحماس مع الضحكات لأيّ سبب كان. لكن الفرح هو الصفاء، الذي هو علامة تخطينا للمخاوف. فيهدأ الآخرون بدورهم. الصعوبات التي تخطيناها، والفرح المُستعاد، يُصبحان شهادة للجميع. كان القديس دومينيك سافيو، تلميذ القديس جان بوسكو، معلّم الشبيبة العظيم، يقول : " تقتضي القداسة أن نعيش الفرح ". هناك أيام تتطلّب بطولة. هذه كرامتنا. كم من الناس يتلقون النور.

يُترجم الفرح بالإبتسامة. في الواقع، هناك تمرين عملي علينا القيام به، أيّا كانت حالتنا النفسية : الإبتسامة، البحث في أعماق الذات عن سبب للإبتسام. الله موجود هنا ! الآخر موجود هنا ! الأولاد موجودون هنا. نرجو!

أن نرجو

الكلمة الأخيرة في هذه المسيرة، ليست الفرح ؛ الفرح هو القمّة. نحن على الدرب ولا ننشد إلا "هللويا" أهل الأرض. الكلمة الأخيرة هي " الرجاء ". اليقين من الوصول، مهما كانت الصعاب، سيكون الله أميّنًا. اسمحو لي بتقديم مقارنة أخرى. النبع الذي يتدفق من الأرض، بعد أن يكون قد انتظر طويلًا في أحشاء هذه الأرض، إنّه الإيمان. يقول : " سأنتلق ! " بالإيمان، ننطلق، نرفع تحديّ المحنة. بعد ذلك، المياه المتدفقة من المغارة، تجري في طريق صعب عبر الوديان، المعامل، المُدن، وتصبح ساقية ونهر. كم من عقبات ! لا تتوقف المياه من أن تصرخ : " سوف أنجح " هذا هو الرجاء، العنيد، المرن والقويّ : يقاوم كلّ شيء. إنّ مسيرة الزواج مطبوعة بالرجاء . أخيرًا المياه، تكون ساقية صغيرة في البداية، ثم تصبح نهرًا، وتصل إلى الهدف : ترتمي في البحر ! البحر، هو المحبة، عظمة محبة الله. الإيمان يُؤدّد الرجاء لنترمي في المحبة، بالله. غاية كلّ شيء، المحبة. إنّه كاهن من أجل أن يحب، يتزوحون ليحبّوا. لا ينتهي الحبّ، هذا يساوي رحلة طويلة ...

أسئلة لواجب المجالسة

- من هم الأزواج الذين يشعّون (ملح ونور) من الذين التقيناهم ؟ بماذا طبعونا ؟
- ما هي الصورة التي نعطيها كزوجين أو كلّ لوحده، في محيطنا ؟ هل نميّز متى نكون الملح أو النور في حياتنا العائلية أو المهنية ؟ كيف نعمل لنحقق هذه الصور في الحقيقة ؟
- بماذا تساعدنا نقاط الجهد الملموسة لنشع من حبّ الله ؟

أسئلة لاجتماع الفرقة

- أية شهادة يمكن لفرقتنا أن نعطياها، كوننا مسيحيون سعداء بالسير معاً نحو المسيح ؟ ما هي أيضاً الأماكن المظلمة والباهتة فينا ؟
- كيف يمكننا في عالمنا الحالي أن نشهد لفرحنا بعيش زواج يدوم مدى الحياة ؟ ما المواقف التي تُعارض هذا الأمر؟
- إلى أي التزام شخصي يدعونا المسيح، لنكون " ملح الأرض " في العالم حيث نعيش ؟ حياي من (في العائلة، في العمل، في المجتمع) يمكننا أن نكون النور ؟ على من علينا أن نضيء أولاً ؟
